تفسِير التوراةِ

للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

قدّم له وعرّف به

الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا

من كلية أصول الدين

جامعة الأزهر

راجعه وصححه وقدم له

الأستاذ الشيخ

صفوت جودة أحمد

من كلية أصول الدين

مكتبة الإيمان

المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٤٩ ـ ٥١)

رموز أسفار التوراة

١ ـ تك = التكوين

٢ ـ خر = الخروج

٣ ـ لا ـ أو: أح = اللاويون ـ الأحبار

٤ ـ عد = العدد

٥ ـ تث = التثنية

* *

٦ ـ يش = يشوع

٧ ـ قض = قضاة

٨ ـ را = راعوث

٩ ـ ١ صم = صموئيل الأول

١٠ ـ ٢ صم = صموئيل الثانى

١١ ـ ١ مل = الملوك الأول

١٢ ـ ٢ مل = الملوك الثانى

١٣ ـ ١ أى = أخبار الأيام الأول

١٤ ـ ٢ أى = أخبار الأيام الثانى

١٥ ـ عز = عَزرا

١٦ ـ نح = نَحَميا

١٧ ـ أس = أستير

١٨ ـ أى = أيوب

١٩ ـ مز = المزامير (الزبور)

٢٠ ـ أم = أمثال

٢١ ـ جا = جامعة

٢٢ ـ نش = نشيد الإنشاد

٢٣ ـ إش = إشعياء

٢٤ ـ إر = إرمياء

٢٥ ـ مرا = مرائى إرمياء

٢٦ ـ حز = حِزقيال

٢٧ ـ دا = دانيئال

٢٨ ـ هو = هُوشَع

٢٩ ـ يؤ = يُوئيل

٣٠ ـ عا = عاموس

٣١ ـ عو = عُوبيديا

٣٢ ـ يون = يونان

٣٣ ـ مى = مِيخا

٣٤ ـ نا = ناحوم

٣٥ ـ حب = حَبقُّوق

٣٦ ـ صف = صَفَنيا

٣٧ ـ حج = حَجَّى

٣٨ ـ زك = زكريا

٣٩ ـ ملا = ملاخِى

***

٤٠ ـ طو = طُوبيا

٤١ ـ يه = يهوديت

٤٢ ـ حك = الحكمة

٤٣ ـ سير = يشوع بن سِيراخ

٤٤ ـ با = باروخ

٤٥ ـ ١ مك = المكّابيين الأول

٤٦ ـ ٢ مك = المكابيين الثانى

التقديم للكتاب

بقلم الأستاذ الشيخ

صفوت جوده أحمد

الأستاذ بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ. بَلاغٌ. فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾؟(١) ويُقال فى كتب التفسير وعلم التوحيد: إنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ وقال ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ ولم يقل من الأنبياء. ويقال أيضاً: إن المراد بأولى العزم؛ جميع الرسل. فتكون ﴿مِنَ﴾ فى قوله ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ لبيان الجنس. وفى الأحاديث النبوية الشريفة: أن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - كان رسول رسول الله ﷺ وقد وضح المؤلف أن سيدنا عيسى عليه السلام نبى من أنبياء الله، أوحى الله إليه بالإنجيل، وأنزله على قلبه، وبلّغه إلى بنى إسرائيل كما تلقاه من الله عز وجل. وأنه أيضاً عالم من علماء بنى إسرائيل. ولذلك كان يتلو الإنجيل عليهم، ويبين ما يختلفون فيه من العقائد والشرائع (٢). فإذا اختلفوا فى معنى آية من آيات التوراة، يسمع خلافهم ثم يرجع بأدلة من التوراة أو بأدلة عقلية. وتبيانه يدل على أنه كان فيهم كواحد من العلماء، بعد ما بلغ الإنجيل الذى نزل عليه من السماء.

فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام صاحب مدرسة عقائدية وفقهية، مثل

---

(١) (الأحقاف: الآية ٣٥).

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (سورة الزخرف: الآية ٦٣).

المعلمين العظام المقتدرين فى العلم، وكان يشرح ويعلّم بروح النبوة المعطاة من الله له. وبعدما بلغهم الإنجيل الذى كتبه الله له؛ شرحه وفسر معانيه، وشرح وفسر معانى التوراة لأنه رسول إلى بنى إسرائيل. وكل ذلك فعله بلسان قومه.

فمن يهتم فى زماننا هذا بتأليف كتاب فى «مدرسة المسيح»؟ ويضع فيه نبذة عن حياته ونشأته، وتصديقه للتوراة، وتفسيره لها، وتبشيره بخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ واعترافه بأن خالق الدنيا هو الله القادر على كل شىء.. وحكمه وأمثاله، والبلاد التى دخلها، والحكم المأثورة عنه فى الكتب الإسلامية، والأناجيل التى ظهرت من بعده. وآراؤه الفقهية. من يهتم بهذا؟ إن مدرسة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ تستحق أن تكتب فيها مؤلفات عظيمة.

والمؤلف فى كتابه هذا يكتب على ما عندهم من العلم فى شأنه. عندهم أن المسيح كان مصدقا للتوراة. فيكتب أنه كان مصدقا، ويستدل بالأدلة التى فى كتبهم. عندهم أنه كان يجادل علماء بنى إسرائيل. فيكتب أنه كان يجادل، ويستدل بالأدلة التى فى كتبهم. عندهم أن اليهود كانوا يستفتونه فى الدين. فيكتب أنهم كانوا يستفتونه ويستدل بالأدلة التى فى كتبهم. فهو بذلك ينقل للمسلمين ما عندهم. كما هو؛ حتى إذا ما التقوا للحوار؛ يكون المسلمون على علم بما عندهم، كما هم على علم بما عندنا. وهذه فكرة جيدة من المؤلف، لم تخطر على بال أحد من قبل.

وبين المؤلف أن المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يؤسس ديانة، وأنه كان مصدقا للتوراة فى العقائد والشرائع. وهو يختلف عن نبينا محمد ﷺ فإن نبينا مصدق للتوراة، وفى ذات الوقت مهيمن عليها. والمسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بشر به، وبين أنه هو الذى سيؤسس ديانة، ونبينا أسس ديانة وصرح بأنه خاتم النبيين. يقول عزّ من قائل فى محكم كتابه الكريم:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ

﴿لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ (١)

وقال المؤلف: إن «بُولُس» هو المؤسس الحقيقى للديانة المسيحية الحالية، وليس المؤسس نبى الله عيسى عليه السلام.

ثم ماذا بعد هذا الكتاب؟

أنا أعلم أن بولس عكس تفسير المسيح عيسى عليه السلام للتوراة.

وذلك واضح فى رسائله مثل رسالته إلى أهل رومية ورسالته إلى العبرانيين وغيرهما. فمن يا ترى من علمائنا الأفاضل من يكمل هذا الكتاب، الذى شرفت بالتقديم له؟ لأن المؤلف كما يبدو لى، يرغب فى التوقف عند هذه السن وكيف يكمله؟ يتتبع أقوال بولس، العاكسة لأقوال المسيح عيسى عليه السلام ويذكرها فى كتاب، ويذكر قبلها أقوال المسيح. وبعدما يذكر هذا؛ يبين لنا ما هى الأقوال التى يعمل بها أتباع المسيح؟ الأقوال التى يعملون بها المأثورة عن المسيح، والأقوال التى يعملون بها المأثورة عن بولس.

وقد قال علماء علم مقارنة الأديان، والمؤلف أيضاً: إن أتباع المسيح من زمان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ إلى هذا اليوم يسيرون على أقوال بولس.

وقد أظهر هذا الكتاب الذى أشرف بالتقديم له ردا من ردود أهل الإسلام على النصارى فى ألوهية عيسى عليه السلام. وهو أن المعلم لشريعة الله والمفسر لها؛ لا يكون هو الله. لأن منزل الشريعة لا يجلس فى المساجد، ويجمع حوله الناس ويحاورهم فيها ويبينها لهم. وذلك لأنه فى السموات وفى الأرض. وهو مع الناس أينما كانوا. فلو حصر نفسه فى مسجد أو هيكل أو بيعة من البيع أو صومعة. لكانت أمكنة تخلو من وجوده ومن علمه.

وكيف والحالة هذه يدرى بالناس ويسمع ويرى ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء؟ ولذلك قال المسيح نفسه: «فإنى وأنا لا طاقة لى أن أخلق ذبابة، بل إنى زائل وفان؛ لا أقدر أن أعطيكم شيئاً نافعاً؛ لأنى أنا

---

(١) (سورة آل عمران الآية: ٤٦ ـ ٤٨).

نفسى فى حاجة إلى كل شىء. فكيف أقدر إذاً أن أعينكم فى كل شىء، كما هو شأن الله أن يفعل؟» (١)

فجزى الله المؤلف خير الجزاء، وجعل هذا الكتاب فى ميزان حسناته. يوم لا ينفع مال ولا بنون

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢)

صفوت جوده أحمد

منفلوط - الأزهر الشريف

(١) المثال الخامس عشر من هذا الكتاب. (٢) (سورة آل عمران الآية: ٨٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فكتابنا هذا. موضوعه «تفسير التوراة» للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

وبيان ذلك: أن الله تعالى اختار إبراهيم عليه السلام من الوثنيين ليدعوهم ليؤمنوا بالله رب العالمين.

وقد طلب إبراهيم من الله تعالى أن يكون من ذريته دعاة إليه؛ وقد استجاب الله لطلبه، ووعده بنبى يخرج من صلب ولده إسحاق؛ ليجعل لله مملكة على الأرض. هو نبى الله موسى عليه السلام، ووعده أيضاً بنبى يخرج من صلب ولده إسماعيل؛ ليجعل لله مملكة على الأرض. هو نبى الله محمد عليه السلام. ولما جاء زمان الوعد الأول. أخرج موسى بني إسرائيل من مصر ليجاهدوا فى سبيل الله، وأنزل الله التوراة عليه ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾(١) وكتب له فيها عن محمد ﷺ أنه إذا جاء يسمع له اليهود ويطيعون. ذلك قوله: «أُقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

وفى الفترة من موسى إلى محمد - عليهما السلام - كان الربانيون والأحبار يفسرون التوراة، ويعلمونها للناس. وكان الأنبياء أيضاً يفسرونها ويعلمونها. كما فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٢)

(١) (سورة الأعراف: الآية ١٤٥).
(٢) (سورة المائدة: الآية ٤٤).

وكان الكلام فى التوراة عن محمد ﷺ واضحاً لا لبس فيه ولا خفاء. وذلك من قبل تحريف التوراة فى مدينة «بابل» سنة ٥٨٦ ق. م وأما من بعد التحريف فقد صار الكلام غير واضح. إلا لعلماء بنى إسرائيل. فلذلك أرسل الله تعالى عبده ونبيه ورسوله عيسى - عليه السلام - ليفسر كلام التوراة عن محمد ﷺ تفسيراً حسناً يفهمه الأمى والعالم، وليفسر - كما يفسر العلماء - من التوراة آيات. وقد قام بالتفسير خير قيام.

لكن المسيحيين من بعده، فى مجمع نيقية بتركيا سنة ٣٢٥ م عملوا لهم دينا مستقلا عن دين اليهود، ونبذوا دين اليهود وراء ظهورهم، واستعدوا لإنكار محمد ﷺ من قبل مجيئه، ولما جاء أنكروه. وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

وقد خُدع الأميون المسلمون وغيرهم فى الديانة التى عملوها، فاعتقدوا أن المسيح عيسى أنشأ ديانة مستقلة عن دين اليهود، وعدّوها مع الأديان المستقلة فقالوا: اليهودية والمسيحية والإسلام.

والحق: أنهما دينان اثنان دين كان على التوراة، ودين هو على القرآن الآن.

وهذان مثالان يدلان على أن نبى الله عيسى عليه السلام كان يدخل مساجد اليهود، ويعظ المصلين، ويخطب فيهم، ويفسر لهم آيات من التوراة، ويجيب على أسئلتهم:

المثال الأول:

«وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ؛ فدُفع إليه سفر إشَعياء النبى. ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه: «روح الرب علىَّ لأنهُ مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق، وللعُمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحريَّة، وأكرز بسنَة الرب المقبولة» ثم طوى السفر وسلَّمهُ إلى الخادم وجلس. وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم: إنهُ اليوم قد تمَّ هذا المكتوب فى مسامعكم. وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمهِ» (لوقا ٤: ١٦ - ٢١)

والمثال الآخر:

«وإذا ناموسى قام يجربُه قائلاً: يا معلّم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال لهُ: ما هو مكتوب فى الناموس؟ كيف تقرأ؟ فأجاب وقال: «تحبُّ الربَّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك» و«قريبك مثل نفسك» فقال له: بالصواب أجبت. افعل هذا فتحيا.

وأما هو فإذ أراد أن يبرّر نفسه. قال ليسوع: ومن هو قريبى؟ فأجاب يسوع وقال: إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت. فعرض أن كاهناً نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابلهُ. وكذلك لاوىٌ أيضاً إذ صار عند المكان جاءَ ونظر، وجاز مقابله. ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبهُ على دابته، وأتى به إلى فندق واعتنى به وفى الغد لما مضى أخرج دينارين، وأعطاهما لصاحب الفندق، وقال له: اعتن به، ومهما انفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك. فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص؟ فقال: الذى صنع معهُ الرحمة. فقال لهُ يسوع: اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا». (لوقا ١٠: ٢٦ - ٢٧)

* * *

وقد رأيتُ أن أُقدم لهذا الكتاب بتمهيد؛ يساعد على فهم غرضه بسهولة ويسر.

وهو فى التعريف بالتوراة وبالأناجيل، وبأن دين الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ليس دينا مستقلا بذاته، منفصلا عما قبله، وبأن المسيح أحلّ لبنى إسرائيل بعض ما حرمه العلماء عليهم، وبين لهم بعض الذى اختلفوا فيه من أحكام التوراة، وذكر لهم حكما ومواعظ.

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

١٤ من المحرم ١٤٢٣ هـ

٢٨ من مارس ٢٠٠٢ م

د/ أحمد حجازى السقا

ميت طريف - دقهلية

تمهيد لموضوع الكتاب

نعرف بالتوراة فنقول:

التوراة المنسوبة إلى موسى ﷺ يقدسها اليهود والصابئون والنصارى. وهى مكونة من خمسة أسفار هى:

١ ـ التكوين ٢ ـ والخروج ٣ ـ واللاويون ـ ويسمى الأحبار ٤ ـ والعدد ٥ ـ والتثنية ـ ويسمى تثنية الاشتراع.

ويقول اليهود العبرانيون: إن كتاب موسى يسمى التوراة حقيقة. وهو يشتمل على التكوين والخروج واللاويين والتثنية، ويُطلق اسم التوراة مجازاً من باب إطلاق اسم الجزء على الكل على كتب أخرى تسمى كتب الأنبياء، والتقسيم هكذا:

(أ) الأسفار الخمسة. (ب) أسفار الأنبياء المتقدمين. أى القريبين لموسى فى الزمن وهى: يشوع ـ القضاة ـ صموئيل الأول والثانى ـ الملوك الأول والثانى ـ إشَعياء ـ إرمياء ـ حِزقيال.

(ت) أسفار الأنبياء المتأخرين. أى البعيدين فى الزمن عن عهد موسى. وهى هُوشَع ـ يُوئيل ـ عاموس ـ عُوبديا ـ يونان ـ مِيخا ـ ناحوم ـ حَبَقّوق ـ صَفَنيا ـ حَجَّى ـ زكريا ـ ملاخِى. ويُطلق على هذه الأسفار أيضاً: كتب الأنبياء الصغار؛ لقلة أصحاحاتها. كما يُطلق على إشعياء وإرمياء وحزقيال ودانيئال. كتب الأنبياء الكبار؛ لكثرة أصحاحاتها.

(ث) الكتب العظيمة. وهى: المزامير (الزَّبور) ـ الأمثال ـ أيوب.

(ج) الكتابات. وهى: دانيئال ـ عَزْرا ـ نَحَمْيا ـ أخبار الأيام الأول والثانى.

ويقول النصارى البروتستانت: إن التوراة العبرانية هى الصواب، ويرتبون أسفارها كالآتى:

١ ـ التكوين. ٢ ـ الخروج. ٣ ـ اللاويين. ٤ ـ العدد. ٥ ـ التثنية. ٦ ـ يشوع. ٧ ـ القضاة. ٨ ـ راعُوث. ٩ ـ صَموئيل الأول. ١٠ ـ صموئيل الثانى.

١١ ـ الملوك الأول. ١٢ ـ الملوك الثانى. ١٣ ـ أخبار الأيام الأول. ١٤ ـ أخبار الأيام الثانى. ١٥ ـ عَزْرا. ١٦ ـ نَحَميا. ١٧ ـ أستير. ١٨ ـ أيوب. ١٩ ـ المزامير. ٢٠ ـ الأمثال. ٢١ ـ الجامعة. ٢٢ ـ نشيد الإنشاد. ٢٣ ـ إشعياء. ٢٤ ـ إرمياء. ٢٥ ـ مراثى إرمياء. ٢٦ ـ حزقيال. ٢٧ ـ دانيئال. ٢٨ ـ هُوشَع. ٢٩ ـ يوئيل. ٣٠ ـ عاموس. ٣١ ـ عوبديا. ٣٢ ـ يونان. (يونس). ٣٣ ـ ميخا. ٣٤ ـ ناحوم. ٣٥ ـ حَبَقُّوق. ٣٦ ـ صَفَنيا. ٣٧ ـ حَجَّى. ٣٨ ـ زكريا ـ وليس هو والد يحيى عليه السلام ـ ٣٩ ـ ملاخِى.

ويقول النصارى الأرثوذكس والكاثوليك: إن التوراة العبرانية كانت قد ترجمت إلى اللغة اليونانية سنة ٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق. م ويقولون: نحن نعتبر التوراة اليونانية مقدسة. وهى تزيد عن التوراة العبرانية: الأسفار والأصحاحات والآيات الآتية:

اسم السفر	عدد الأصحاحات	موضع السفر من أسفار العهد القديم
١ ـ طُوبيا	١ ـ ١٤	بعد سفر نحميا
٢ ـ يهوديت	١ ـ ١٦	بعد سفر طوبيا
٣ ـ تتمة أستير	١٠ ـ ١٦	مع سفير أستير
٤ ـ الحكمة	١ ـ ١٩	بعد نشيد الإنشاد
٥ ـ يشوع بن سيراخ	١ ـ ٥١	بعد سفر الحكمة
٦ ـ باروخ	١ ـ ٦	بعد مراثى إرمياء
٧ ـ تتمة دانيال	٣ و ١٣ ـ ١٤	مع سفر دانيال
٨ ـ المكّابيين الأول	١ ـ ١٦	بعد سفر ملاخى
٩ ـ المكايين الثانى	١ ـ ١٥	بعد المكابيين الأول

٥ ـ وعندما ترجمت التوراة إلى اللغة اليونانية، أطلقوا على أسفار موسى الخمسة: لفظ «بانتاتيكوس» أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة «وقد انتقلت هذه اللفظة إلى اللاتينية، وإلى معظم اللغات العصرية»

وجميع النصارى يسمّون كتب التوراة: العهد العتيق أو العهد القديم، ويسمون كتب الأناجيل: العهد الجديد. ويسمون مجموع كتب العهدين: الكتاب المقدس، ويسمونه أحياناً: بَيْبُل. وهو لفظ يونانى أطلق على مجموع العهدين.

* * *

ونعرف بالأناجيل فنقول:

إن متّى وبَرنابا كتبا إنجيل المسيح عيسى عليه السلام من بعد رفعه إلى السماء. ثم نقل منه الناقلون كتبا صغيرة، أسموها بالأناجيل. والموجود مع النصارى والصابئين:

١ ـ متى ٢ ـ ومرقس ٣ ـ ولوقا ٤ ـ ويوحنا.

وقد ظهر الإنجيل المنسوب إلى بَرنابا، ولكن المسيحيين لم يعترفوا به؛ لأن فيه اسم محمد فى أربعة عشر موضعا.

ويقدس النصارى والصابئون من بعد الأربعة؛ سفر أعمال الرسل ورسائل بولس ورسائل لغيره.

وسيعلم الناس من تفسير المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام للتوراة: أنه ـ عندهم ـ كان مثل عالم من علماء بنى إسرائيل، ولم يكن هو الله رب العالمين، أو إله معه. ـ كما يزعم النصارى ـ وكان يبشر بمحمد ﷺ ويستدل على مجيئه بآيات من أسفار التوراة، وآيات من أسفار الأنبياء. وقد جاء عنه فى الأناجيل: أنه كان مثل نبى. ففى إنجيل متى: «وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه؛ خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبى» (متى ٢١: ٤٦) وجاء عنه فى القرآن الكريم: أنه نبى ومرسل من الله لبنى إسرائيل. فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1]

(١) (سورة الصف: الآية ٦).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١)

* * *

والدين الإسلامى الذى جاء به محمد ﷺ ليس دينا مستقلا بذاته، منفصلا عما قبله. كدين الإسلام الذى جاء به نوح عليه السلام أو كدين الإسلام الذى جاء به موسى عليه السلام. فإن نوحا عليه السلام لم تكن قبله شريعة. وقد هلك العالم الكافر بطوفان الماء. والمؤمنون الذين بقوا من بعد الهلاك؛ جعل الله لهم شريعة. فيها: «كل دابة حيّة تكون لكم طعاما...» (تك ٩: ٣) ولم ينبه نوح فيها على نبى سيأتى من بعده. فلذلك كانت منفصلة عما قبلها وعما بعدها. فلما جاء زمان نبى الله موسى عليه السلام وأعطاه التوراة؛ نبه عليه فيها: أن سيأتى نبى من بعده على مثاله؛ لينسخ شريعته(٢). فإذا جاء هذا النبى بحسب التنبيه عليه فيها من قبل، وكلم الناس بوصايا من الله؛ فإنه يكون مكملا لشريعة موسى، ومتمما لها، لأن شريعة موسى لا تكمل إلا به، ولا تتم إلا به.

فأحكام التوراة ستمائة وثلاثة عشر حكما. ومن أحكامها: «أُقيم لهم: نبيا. من وسط إخوتهم: مثلك. وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» ولم يقدر المؤمنون بالله عليها على أن يعملوا بهذا الحكم. وذلك لأن النبى المنبه فيها عليه؛ لم يكن قد ظهر. وإذ لم يكن قد ظهر؛ فإن عملهم

---

(١) (سورة إبراهيم: الآية ٤).

(٢) فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيمُ لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى، وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» (تثنية ١٨: ١٥ ـ ٢٢)

بالتوراة يكون ناقصاً. ويظل عملهم بها ناقصا إلى أن يظهر. فإذا ظهر وآمنوا به، وعملوا بكلامه؛ فإنهم يكونون مكملين للتوراة؛ وإذا ظهر ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بكلامه؛ فإنهم يكونون كافرين به، وكافرين بالتوراة؛ لأن مخالفة حكم فيها هو كمخالفة لكل أحكامها.

وفي القرآن الكريم عن أن مخالفة البعض مماثل لمخالفة الكل: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾(١)

وفى الإنجيل عن هذا المعنى: «لأن من حفظ كل الناموس، وإنما عَثَر فى واحدة؛ فقد صار مجرما فى الكل؛ لأن الذى قال: لا تزن، قال أيضاً: لا تقتل. فإن لم تزن ولكن قتلت؛ فقد صرتَ متعديا الناموس» (يع ٢: ١٠ ـ ١١)

ولما جاء محمد ﷺ وهو المخبرُ عنه فى كتاب موسى، والمبّشر به فى كتاب عيسى؛ أعلن عن دينه بأنه مكمل للدين، فالدين هو التوراة، وفى الدين أن آتى لحكمة يعلمها الله. وها قد أتيتُ لأكمل الدين كما قد كُتب عنى. وهذا هو نص الإعلان: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) وهذا الدين الواحد الذى ابتدأ بموسى وانتهى

(١) (سورة البقرة : الآية ٨٥ ـ ٨٦). (٢) (سورة المائدة: الآية ٣).

بى؛ سوف يأتى اليوم الذى يُؤمن العالم كله بالكلام الذى صدر من فمى. وسَيَظهر كلامى المدون فى القرآن على كلام الدين كله المدون فى التوراة. وسيعمل الناس كلهم بكلامى. ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(١)

ولم يقل على الأديان كأنه يتكلم عن كثيرين، بل كأنه عن واحد. هو الذى جاء به موسى، وخُتم به ﷺ وكرر المعنى بلفظه فقال فى سورة الصف: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٢)

وخاطب الله أهل الكتاب والمؤمنين بالله على شريعة موسى. بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله على شريعة موسى ﴿آمِنُوا﴾ اليوم فى هذا الزمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد. المخبر عنه فى كتاب موسى أنه سيأتى ليقيم دينا ﴿وَ﴾ آمنوا أيضاً بـ ﴿الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ محمد وهو القرآن ﴿وَ﴾ آمنوا أيضا بـ ﴿الْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ وهو التوراة ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(٣)

وخاطب الله بنى إسرائيل خاصة، ولم يشرك معهم الأمم فى الخطاب: فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾(٤)

* * *

وقد أنبأ نبى الله دانيئال فى الأصحاح السابع من سفره عن قيام أربعة ممالك على الأرض. وهى بابل وفارس واليونان وأهل الروم. وأنبأ عن نبى فى آخر أيام المملكة الرابعة. سيظهر ليؤسس لله مملكة على الأرض،

---

(١) (سورة التوبة: الآية ٣٣).
(٢) (سورة الصف: الآية ٩).
(٣) (سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٤) (سورة النساء: الآية ٤٧).

وأن هذا النبى سيقضى على مملكة الروم فى بدء ظهوره، ولقبه بلقب «ابن الإنسان» ولقب مملكته بملكوت الله أو ملكوت السموات. وأنبأ دانيئال أيضاً أن ظهور هذا النبى سيكون من بعد الأمر بتجديد أورشليم بأربعمائة وتسعين سنة. وذلك فى الأصحاح التاسع من سفره فى قوله: «سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة؛ لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدى، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين».

وقد بينا هذا فى غير هذا الكتاب.

وقد قال لى الشيخ المعظَّم محمود مصطفى بدوى[1] - رحمه الله -: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾[2] فى اليهود خاصة. فإنهم آمنوا بموسى عليه السلام فى زمانه، ثم كفروا بالله فى زمان القضاة، ثم آمنوا فى زمان داود عليه السلام، ثم كفروا من بعده، وعبدوا صنم البعل فى أيام نبى الله إلياس. ثم ازدادوا كفرا لما أنكروا نبوة عيسى عليه السلام.

وفى آخر أيامه - يرحمه الله - رجع عن رأيه وقال:

إن اليهود آمنوا بالتوراة وفيها الإيمان بمحمد إذا ما ظهر. وظلوا عليها عاكفين إلى أن حرفوها فى «بابل» وكفروا بمحمد، لأن التحريف كفر به من قبل مجيئه. وزعموا: أن النبى الأمى الآتى؛ سوف يظهر من بنى إسرائيل. والتحريف كفر بالله وكفر بمحمد رسول الله ﷺ وهذا هو معنى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بمحمد عليه السلام من قبل مجيئه.

٢ - وبعد زمان؛ لأن ﴿ثُمَّ﴾ للتراخى بعث الله إليهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ليفسر لهم آيات التوراة عن النبى الأمى الآتى تفسيرا يدل على محمد ﷺ آمن به منهم كثيرون، و ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

(١) مدير المنطقة الأزهرية بالدقهلية. (٢) (سورة النساء: الآية ١٣٧).

﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[١] ثم إنهم فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ هجروا الشريعة وكفروا بمحمد، وذلك بتطبيقهم كل نبوءات التوراة عليه، على المسيح عيسى عليه السلام وهذا هو معنى ﴿ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بمحمد عليه السلام.

٣ - ولما ظهر محمد ﷺ ازدادوا به كفرا.

وهذا هو معنى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد عليه السلام

ثم لفت أنظار اليهود إلى نص فى التوراة عن محمد ﷺ فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٢] والنص موجود إلى هذا اليوم فى بدء سفر الزبور.

عندئذ قلت له: إن أسباب النزول فيها بخلاف ذلك. قال: أنا أعلم. ولكن مقارنات الأديان تكون فى النصوص. فى نص التوراة وفى نص الزبور، وفى نص الإنجيل وفى نص القرآن: وهذا أمر متفق عليه بين أهل الأديان؛ حتى لا تتشعب الآراء، فلا ينضبط الحق. وأسباب النزول عندنا مروية بخبر الواحد. وهو خبر غير قطعى الثبوت، وظنى الدلالة. ولذلك لا يساوى القرآن فى الحجية. والقرآن منه محكم ومنه متشابه. وهو بالمتشابه لا يكون حمالا لعدة أوجه. وإنما يكون حمالا لوجهين اثنين. لأنه يقول: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣] وإذا رد المتشابه إلى المحكم؛ فإنه لا يكون حمالا لوجهين. وقولهم بحمال أوجه هو منهم قصور بتعيين المعنيين أولاً، ثم بتعيين المعنى

---

(١) (سورة آل عمران: الآية ٥٢ - ٥٣). (٢) (سورة النساء: الآية ١٤٠).

(٣) (سورة الزمر: الآية ٢٣).

الواحد - من المعنيين - المراد ثانياً. وعلى من يفسر القرآن أن أ - يعين المحكم ب - والمتشابه ج - ومعنَىٰ المتشابه من قبل أن يرد معنَىٰ المتشابه إلى المحكم. وهذا غير واضح عند المفسرين. د فـ ﴿يد الله﴾ فى قوله تعالى - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١) نص متشابه يحتمل اليد الجسمية والكناية عن القدرة. والمحكم هو ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢) والمتفق معه الكناية عن القدرة؛ فيكون هو مراد الله تعالى. وبعد ما يقول: كناية عن القدرة؛ يقول: والله كلمنا عن نفسه بلغتنا لنفهم مراده؛ لئلا نقع فى التجسيم؛ لأن القدرة تتعلق بجسم.

* * *

وما نريد أن نبينه ههنا: هو أن المسيح عيسى عليه السلام قد ربط بين زمان إتمام دين موسى على يد النبى الذى أخبر عنه فى سفر التثنية، وبين زمان انتهاء الممالك الأربعة وتأسيس ملكوت الله الذى أنبأ عنه النبى دانيئال. وقال: إن وقت ظهور هذا النبى المعظم هو وقت تأسيس ملكوت الله.

فيكون محمدا ﷺ على كلامه. مكملا لدين، لا منشأ لدين. ففى الأصحاح الخامس من إنجيل متى:

«لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض، بل لأكمِّل. فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض؛ لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس؛ حتى يكون الكلّ. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر فى ملكوت السموات. وأما من عمل وعلّم؛ فهذا يُدعى عظيما فى ملكوت السموات. فإنى أقول لكم: إن لم يزد برّكم على الكتبة والفرّيسيّين؛ لن تدخلوا ملكوت السموات»

* * *

(١) (سورة الفتح: الآية ١٠).

(٢) (سورة الشورى: الآية ١١).

ولقد كان عيسى عليه السلام مبشرا بمحمد ﷺ ولم يكن منشئا لديانة. والذى أنشأ للمسيحيين ديانة - حسب المكتوب - هو بُولُس. ولم يكن «بولس» نبيا حتى ينشئ ديانة، وليس المسيح هو الله حتى نقول إنه أرسله لإنشاء ديانة. وكيف ينشئها والمسيح نفسه يقول: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس»؟ وكيف ينشئها والمسيح نفسه لم يقل أنا المتمم للدين. وإنما قال: إن المتمم للدين؛ غيرى، وإنه هو الذى سيزيل المملكة الرابعة، وسيؤسس لله ملكوتا على الأرض؟ وقال يوحنا المعمدان عن هذا النبى: إنه سيكون محاربا عظيما وفاتح بلاد ومنتصرا على أعدائه. ولم يكن المسيح محاربا ولا فاتح بلاد. ولم ينتصر على أعدائه. «يأتى بعدى من هو أقوى منى. الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه» (مر ١: ٧) «يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى. فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم: لنا إبراهيم أبا؛ لأنى أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا، تقطع وتلقى فى النار...» (متى ٣: ٧ +)

وضرب المسيح أمثلة لملكوت السموات وقال فيها: إن «ابن الإنسان» صاحب الملكوت سيرسل أصحابه الشبيهين بالملائكة النورانيين فى الطهر والصلاح ليجمعوا من ملكوته أهل الشر، ويطرحونهم فى أتون النار. كناية عن شدة الحرب فى يوم الرب العظيم. (متى ١٣: ٢٤ +) وختم حديثه عن أهل الاسلام بوصفهم بالأبرار فقال: «حينئذ يضيىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم» وقرن بين اليهود الأشرار وبين أصحاب صاحب الملكوت فقال: «يخرج الملائكة، ويفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحونهم فى النار»

وقال: إن اليهود سيهلكون فى نهاية الأسابيع السبعين على يد أصحاب صاحب الملكوت فى ساعة لا يعلمها إلا الله وحده «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤: ٣٦)

وقد بينا هذا فى غير هذا الكتاب.

وفضلا عن ذلك: فإن من أوصاف النبى الآتى على مثال موسى لتعليم الدين. أنه يكون مماثلاً لموسى. وقد حدد موسى المثلية بثلاثة أوصاف هى الحروب والانتصار على الأعداء والمعجزات. وقال: ولن يأتى مثلى من بنى إسرائيل. وحيث أن لإسماعيل بركة هى ملك ونبوة، وحيث أن عيسى من بنى إسرائيل؛ فإنه لا يكون هو النبى المنتظر الذى سيأتى لتكميل الدين.

ففى نهاية التوراة: «ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى، الذى عرفه الرب وجها لوجه فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده، وكل أرضه، وفى كل اليد الشديدة، وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل»

* * *

وفى أيام عيسى عليه السلام كان علماء بنى إسرائيل يحرمون على اليهود ما أحله الله لهم؛ ليوهموهم بأنهم غيورون على الدين ومتمسكين به. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة. فأحل عيسى لهم ما حرمه العلماء عليهم من تلقاء أنفسهم. وهذا هو معنى ما جاء عنه فى القرآن الكريم: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1]

وكان من كلامه لهم كلام فيه حكم ومواعظ. مثل: «وحينما تصلّون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم؛ فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم؛ يُستجاب لهم» والحكم التى جاء بها والمواعظ. لم يقلهما من تلقاء نفسه. وإنما أخذها من التوراة. فالنهى عن تكرير الكلام فى الصلاة قد أخذه من سفر الجامعة ٥: ٢ والجامعة ١٠: ١٤ وقوله: «لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء، حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون؛ لأنه حيث يكون كنزك؛ هناك يكون قلبك أيضاً» (متى ٦: ١٩ ـ ٢١)

(١) (سورة آل عمران: الآية ٥٠).

أخذه من سفر الأمثال ٢٣: ٤ وهكذا مما يدل على أنه ما أنشأ حكَما ولا مواعظ. ففى سفر الجامعة: «والجاهل يكثر الكلام» - «لا تستعجل فمك، ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله» وفى سفر الأمثال: «لا تتعب لكى تصير غنيا. كفّ عن فطنتك»

وقول عيسى عليه السلام: «لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير؛ لئلا تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم» (متى ٧: ٦) أخذه من سفر الأمثال. وهو «من يوبخ مستهزئاً يكسب لنفسه هوانا، ومن ينذر شريرا يكسب عيبا. لا توبخ مستهزئاً؛ لئلا يبغضك. وبّخ حكيما فيحبك» (أم ٩: ٧ - ٨)

وفى القرآن الكريم: ﴿عَمَّ﴾[1] عن أى أمر ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؟ وهو مجى محمد ﷺ وهل سيكون مجيئه من السامريين أم من العبرانيين، أم من بنى إسماعيل؟ أما المسيح عليه السلام فإنه بين لهم أنه سيأتى من بنى إسماعيل. وببيانه هذا قد أزال اختلافهم فيه. واحتج بأن داود عليه السلام قال إنه سيده، ولا يكون الابن سيدا لأبيه. وهكذا كان يبين لهم بعض الذى كانوا يختلفون فيه.

ففى إنجيل متى:

«وفيما كان الفرّيسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنون فى المسيح[2]؟ ابن مَنْ هو؟ قالوا لهُ: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: «قال الربُّ لربّى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنهُ؟ فلم يستطع أحدٌ أن يجيبهُ بكلمةٍ. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحدٌ أن يسأله بتة.

حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوهُ فاحفظوهُ وافعلوهُ. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً

(١) (سورة النبأ). (٢) راجع كتابنا المَسِيّا المنتظر نبى الإسلام ﷺ. نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. والمسيا: هو المسيح.

ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع. والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس: سيدى سيدى. **وأما أنتم فلا تدعوا سيدى؛ لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا إخوة.ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات. ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحدٌ المسيح**. وأكبركم يكون خادماً لكم. فَمنْ يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع.

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلّة تطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً. ويل لكم أيها القادة العميان القائلون: من حلف بالهيكل فليس بشىء. ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشئ. ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم. أيها الجهال والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذى يقدس القربان؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان. كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان الذين يصفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكاس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة. أيها الفريسى الأعمى نق أولاً داخل الكأس والصحفة لكى

يكون خارجهما أيضاً نقياً. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء. وتزينون مدافن الصديقين. وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة. فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفِك على الأرض من دم هابيل الصِّديق إلى دم زكريا بن بَرَخِيّا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتى على هذا الجيل.

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خراباً. لأنى أقول لكم: إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب» (متى ٢٢: ٤١ إلى نهاية ٢٣)

* * *

ونتكلم عن طوائف بنى إسرائيل. فنقول:

كما عندنا نحن المسلمين سنّة وشيعة، وكما عند المسيحيين كاثوليك وأورثوذكس. كان فى بنى إسرائيل «يهودا والسامرة» أى أرض للعبرانيين، وأرض للسامرين.

أما السامريون فإنهم نسل الأسباط العشرة. وأما العبرانيون فإنهم نسل السبطين. ومن أنبياء السامريين؛ إلياس واليسع - عليهما السلام - ومن أنبياء العبرانيين؛ يحيى وعيسى - عليهما السلام - ومن بعد المسيح عيسى عليه السلام - انقسم العبرانيون إلى طائفتين هما الربانيون والقراؤون.

والمؤرخون لا يحسبون الصابئين والمسيحيين من طوائف اليهود العبرانيين. وهما من العبرانيين أهل أورشليم، وليسا من السامريين أهل نابلس.

والمؤرخون لا يحسبون الصابئين أتباع نبى الله يحيى ﷺ، والمسيحيين أتباع نبى الله عيسى ﷺ من طوائف اليهود؛ لأن كتّاب التواريخ اليهودية والمسيحية هم من اليهود والمسيحيين. وإذا حسبوهما؛ فإنهم لابد من أن يذكروا سبب انفصال الصابئين عن اليهود، وسبب انفصال المسيحيين عن اليهود. وسبب الانفصال سيعرّف العالم بنبوة محمد رسول الله ﷺ وهم لا يريدون لأحد أن يعرفه.

وبيان ذلك:

أن فى التوراة نبوءة عن نبى واحد سيأتى ليقيم الدين، وليكلمهم بكل ما يريده الله منهم. وهو محمد ﷺ وفى «بابل» أعاد اليهود كتابة النصوص عليه بصيغة يفهمها العلماء ولا يفهمها الأميون. فلذلك أرسل الله عبده ونبيه يحيى ﷺ ليفسر النصوص عن محمد تفسيرا حسنا. وكان من يقبل كلامه من اليهود يأخذه إلى ماء، ويصبغه فيه؛ علامة تمييز على أنه انفصل عن اليهود، واستعد للدخول فى دين محمد إذا جاء. وأرسل الله عبده ونبيه عيسى ﷺ لنفس الغرض الذى أرسل من أجله يحيى. وكانا يصبغان معا. والصبغة هى التعميد.

فلو أن المؤرخين عدّوا الصابئين من طوائف اليهود؛ للزمهم ذكر السبب فى انفصالهم عنهم. والسبب سيجعل الناس يسارعون فى الدخول فى الإسلام.

فلذلك لم يعدوها. ولم يعدّوا المسيحيين لنفس الغرض.

أما القرآن الكريم فقد كشف هذا الخداع. في بيانه أن النصارى طائفة من اليهود، فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ

بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(١) إلى أن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾(٢)

وفى بيانه أن الصابئين طائفة من اليهود فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣) أى ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ من ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾

ومع هذا الكشف لم يتنبه علماؤنا إلى عدّ الصابئين والنصارى من طوائف اليهود العبرانيين. فمؤلف اليهود واليهودية نشرة كتاب اليوم بالقاهرة، يذكر:

١ - الفَرِّيسيون ٢ - الصدوقيون ٣ - الأسينيون ٤ - البَصَرِيُّون - أى ذوى الرؤيا - ٥ - الدمشقيون ورهبان وادى قمران ٦ - الحماسيون ٧ - السامريون ٨ - المتطسون أو الطبّيون ٩ - فرق غامضة.

وهذا المؤلف عدّ السامريين مع فرق العبرانيين.

ومؤلف اليهود واليهودية فى التاريخ والعقيدة والأخلاق يعدّهم هكذا:

١ - الفريسيون ٢ - الصدوقيون ٣ - السامرية ٤ - العنانية (القراءون) ٥ - العيسوية.

وقال هذا المؤلف عن السامرة: «إنهم لا يقرون بالبعث ألبتة» مع أن الله قال فى القرآن حكاية عن اليهود جميعاً: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٤) فقد أقر باعترافهم بالبعث وبالنار إلى مدة. وخطأهم فى المدة، ولم يخطئهم فى الاعتراف».

---

(١) سورة الصف: الآية ٦. (٢) سورة الصف: الآية ١٤.

(٣) المائدة: ٦٩. لاحظ تأخير النصارى عن الصابئين ههنا وفى الحج ١٧ وتقديم النصارى على الصابئين فى البقرة ٦٢. (٤) سورة البقرة: الآية: ٨٠.

وقال هذا المؤلف عن الفرّيسيين: «يدّعون أنهم يؤمنون بالبعث الأخروى. ومع هذا فلا تكاد تجد فى كتبهم ذكرا يفصل حقيقة البعث والحساب» وقال عن الصدوقيين: إنهم يقولون بأن لا بعث بعد الموت، ولا ثواب ولا عقاب إلا فى الدنيا. لتأثرهم بالثقافة اليونانية. ونسى أنه قال قبلا عنهم: «ولم يؤمنوا بقيامة الأجساد» أى يؤمنون بالبعث الروحانى كالمسيحيين. ونسى أن الله قال فى القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[1] وهذا يدل على أن الترغيب فى الشهادة منصوص عليه فى كتبهم فى قوله لابراهيم «أنا ترسى لك أجرك كثير جدا» (تك ١٥: ١) وغيره.

* * *

إلى هنا نقف، ونقول:

١ - إننا سنذكر من التوراة والإنجيل ما يدل على اعتراف بنى إسرائيل جميعا بيوم القيامة.

٢ - ثم نذكر افتراق السامريين عن العبرانيين.

٣ - ونعرف بالصابئين.

* * *

أولاً: الأدلة على يوم القيامة من توراة موسى:

اتهم المسلمون اليهود بأن التوراة ليس فيها كلام عن القيامة من الأموات. وهم يقرؤون فى القرآن الكريم ما حكاه الله عن اليهود بأنهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[2] وهم لا يقولون بدخول فى النار، إلا بكلام مدّون فى كتاب موسى. وهو لا يحكى قولا، يقدر الخصم على تكذيبه.

يقول ابن حزم الأندلسى: «وأما التوراة التى بأيدى اليهود، فليس فيها ذكر لنعيم الآخرة أصلا، ولا جزاء بعد الموت»[3]

واتهام المسلمين لليهود فى هذا الأمر يعنون به أن الأسفار المنسوبة

(١) سورة التوبة: ١١١. (٢) سورة آل عمران: ٢٤. (٣) الفصل لابن حزم ج ٢ ص ١٠٩.

إلى موسى صاحب الشريعة خالية من ذكر البعث، ولا يعنون به أسفار الأنبياء، التى يُطلق عليها اسم التوراة. كسفر الزبور وأيوب وإشعياء؛ فإن فى أسفار الأنبياء نصوص واضحة الدلالة على البعث من القبور.

وهأنذا أبين هذا الأمر:

إن بنى إسرائيل اثنا عشر سبطا. وقد اتفقوا وهم فى أسر ملوك «بابل» على إعادة كتابة توراة موسى، وأعادوا الكتابة، ووضعوا فيها النصوص الصريحة على يوم القيامة. ولما رجعوا من «بابل» إلى «فلسطين» اختلفوا على عاصمة الدولة وعلى الجبل المقدس، الذى أرادوه قبلة فى الصلوات والحج. ونتج عن هذا الاختلاف: أنهم صاروا طائفتين. وظهر خلاف فى توراة موسى التى أعادوا كتابتها. فالنسخة التى يتمسك بها إلى هذا اليوم الأسباط العشرة؛ فيها النص على يوم القيامة. والنسخة التى يتمسك بها إلى هذا اليوم سبطى يهوذا وبنيامين. فيها النص محتملا للجزاء على الأعمال. إما فى الدنيا، وإما فى الآخرة. ذلك هو قولهم المأثور عنهم.

فالقول بأن بنى إسرائيل حذفوا من التوراة نصوص البعث هو قول باطل. وإن قلت ليهودى من يهود السبطين: هل تنكرون البعث؟ يجيب بقوله: لا. نحن نقر به، ولا ننكره. ولا يقدر أن يقول: إن التوراة محرفة فيه، لاحتمال النص جزاء دنيويا أو أخرويا. لا يقدر أن يقول بالاحتمال. ونقدر نحن أن نقول له: إذا كان النص محتملا، وأنت لمعرفتك باللغة العبرانية رجحت أحد الاحتمالين؛ فإن ترجيحك، يؤخذ به. لدرايتك باللغة. ولخوفك من مضاداة قومك؛ أظهرت الترجيح؛ ونفيت التحريف.

هذا فى النص الذى قال السامريون: إن العبرانيين وضعوه محتملا للمعنيين، ونحن تسلمناه من موسى نفسه يدل على معنى واحد. وقولهم نحن تسلمنا من موسى نفسه نسخة التوراة التى بأيدينا. هو قول باطل. فإن التوراة التى بأيديهم هى المعاد كتابتها فى بابل. وأحد الفريقين أزاد فيها أو أنقص منها.

ولكن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ لم يستدل على البعث بهذا النص المحتمل، لما سُئل عنه. واستدل بنصين من كتاب موسى الذى بأيدى الفريقين إلى هذا اليوم. واستدل بنصوص كثيرة على البعث من أسفار الأنبياء.

والنص المحتمل فى توراة السبطين، قد وضع الكاتب بعده ما يدل على أنه غير محتمل فى نظر العلماء. وهذا هو نصه من الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية، يقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزا عندى، مختوما عليه فى خزائنى؟ لى النقمة والجزاء، فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢: ٣٤ - ٣٥) وفى التوراة السامرية: «إلى يوم الانتقام» وإن قوله «فى وقت» يحتمل وقتا فى الدنيا، ووقتا فى الآخرة. «وإلى يوم الانتقام» هو نص فى الآخرة. وبعده: «أنا أنا هو. وليس إله معى. أنا أميت وأحيى» (تث ٣٢: ٣٩) فقد بين: أنه ديان كل الأرض، وأن أعمال الأمم فى صحف عنده. وأنه سيجازيهم عليها. وقد قال: «أنا أميت» وأضع الموتى فى القبور. ثم «أحيى» من القبور. ولم يقل: أنا أحيى، وأميت، وإنما قال: «أنا أميت وأحيى» أى أميت فى الدنيا، وأحيى فى الآخرة. وفى التوراة: أن نبى الله اليسع ﷺ كان مشهوراً فى زمانه بالمعجزات وكان فى زمانه رجل اسمه نعمان السريانى رئيس جند ملك أرام وأصابه البرص. فأرسل ملك أرام إلى ملك إسرائيل أن يوصل نعمان إلى اليسع ليبرئه من برصه. وكتب له خطابا جاء فيه: «فالآن عند وصول هذا الكتاب إليك. هو ذا قد أرسلت إليك نعمان عبدى؛ فاشفه من برصه. فلما قرأ ملك إسرائيل الكتاب مزق ثيابه، وقال: هل أنا الله؛ لكى أميت وأحيى» (٢ مل ٥: ٦)

انظر إلى تعبيره فى معرض المرض والشفاء وهو: «هل أنا الله؛ لكى أميت وأحيى»؟

فقد قابل بين الموت والحياة. لأن الحياة تأتى بعد الموت، كما أن الشفاء يأتى بعد المرض.

وهذا موافق لقول الله تعالى عن «أخنوخ» الذى يقال إنه بعدما مات، رفعه الله إليه. ففى سفر التكوين: «وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد؛ لأن الله أخذه» (تك ٥: ٢٤) فقد أثبت:

١ ـ أنه سار مع الله أى جاهد فى سبيله، ودعا الناس إلى عبادته.

٢ ـ وأثبت أنه لم يوجد فى الدنيا؛ لأنه مات. ٣ ـ وأثبت أن الله أخذه إليه فى محل كرامته. وإذ قد أخذه ووضعه فى محل الكرامة؛ فإنه يكون فى محل الكرامة حيا، لا ميتا. وقد حام المسيح عيسى ﷺ حول هذا المعنى. فقال:

إن السير أمام الله معناه دعوة الناس إلى الله. والداعى لابد أن يحصل من الله على أجر عن دعوته. فهب أن هذا السائر أمسك بالسيف وقاتل، فقتل، فكيف يحصل على أجره؟ وإنه حيث قد وعد بأجر ومات من قبل أن يأخذه، فلا بد من إثبات حياة أخرى، فيها يحصل على هذا الأجر؛ لأن وعد الله لا يتخلف.

ففى سفر التكوين: أن الله قال لإبراهيم: «أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا» وسار إبراهيم مع الله. وقال له الله: «لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جداً»

يفسر المسيح عيسى ﷺ هذا الأجر الكثير. بأنه قد يكون فى الدنيا. وقد يكون فى الآخرة. وقد يكون فى كليهما معا. فشهيد المعركة لم يحصل على أجره فى الدنيا. وهو موعود بأجر كثير. فكيف يحصل عليه؟ والذى ربح المعركة قد حصل على غنائم وملك على الأمم فى الحياة الدنيا. ولو مات على طاعة فإنه سيحصل على أجر فى الآخرة. وقد لحظ هذا المعنى مفسرو التوراة وهم يفسرون «عش الطائر» ففى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التثنية: «إذا اتفق قدامك عش طائر فى الطريق، فى شجرة مّا، أو على الأرض. فيه فراخ أو بيض. والأم حاضنة الفراخ أو البيض؛ فلا تأخذ الأم مع الأولاد. أطلق الأم، وخذ لنفسك الأولاد؛ لكى يكون لك خير، وتطيل الأيام» (تث ٢٢: ٦ ـ ٧)

فقوله: «لكى يكون لك خير» هو حصول على ثواب عظيم فى دار لا نهاية لأيامها. وهى الآخرة. وذلك لأنه لو اتفق أنه أطلق الأم، ووقع من على أعلى الشجرة، ومات فى الحال. فإنه يكون قد فعل الخير، ولم يأخذ ثوابه. وحيث أن وعد الله لا يتخلف؛ وهو قد مات فى الدنيا؛ فإنه لابد من أن يحصل عليه فى الآخرة.

هذا هو الدليل الأول للمسيح من توراة موسى على البعث.

والدليل الثانى: حكاه عنه متى ومرقس ولوقا. ومعناه: أن الله اصطفى من الناس رسلا لأداء رسالة معينة. والله حى، فهم أحياء. إذ الموت لا يستطيع أن يضع حدا للفصل بين الله وبين رسله. ففى سفر الخروج يقول الله لموسى: «أنا إله أبيك: إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب» (خر ٣: ٦) وهم قد ماتوا من قبل موسى بزمان. فلو كان الموت قد وضع حدا لحياتهم؛ لكانوا بالموت منفصلين عن الله الحى. وإذا انفصلوا؛ فأى فائدة من تمجيدهم؟ فإنهم إذا صاروا ترابا، ولن يعادوا. فلا فرق بينهم ـ وهم فى التراب ـ وبين الحيوانات والطيور، بل ولا فرق بينهم وبين عباد آلهة الأمم. وحيث أنه قد ذكرهم بالذكر الحسن، وأثنى عليهم بالثناء العاطر؛ فإنهم يكونون أحياء عند ربهم يرزقون.

وقال المسيح: إن الرجل فى الحياة الدنيا يتزوج المرأة لإيجاد نسل، ولا نسل فى الآخرة. وعليه فإن الرجل فى الجنة هو وزوجه، يكونان مثل الملائكة فى تسبيح الله وتمجيده. ويفضلون تسبيح الله وتمجيده على الشهوات والملذات الحسية.

قال متّى: «فى ذلك اليوم جاء إليه صَدّوقيون ـ الذين يقولون: ليس قيامة ـ فسألوه قائلين: يا معلم. قال موسى: «إن مات أحد وليس له أولاد؛ يتزوج أخوه بامرأته، ويقم نسلا لأخيه» فكان عندنا سبعة إخوة. وتزوج الأول ومات. وإذ لم يكن له نسل؛ ترك امرأته لأخيه. وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة. وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً. ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة؛ فإنها كانت للجميع؟»

فأجاب يسوع وقال لهم: تضلّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله؛ لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله فى السماء.

وأما عن جهة قيامة الأموات:

أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: «أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب؟» ليس الله إله أموات، بل إله أحياء. فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه» (متى ٢٢: ٢٣ ـ)

وفى توراة موسى نص رابع على البعث وهو: «لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم» (عدد ٢٣: ١٠)

وقد بين المسيح عيسى عليه السلام أن لفظ «الأبرار» يطلق على العاملين بالشريعة. وأن لهم الخير العظيم (أ) إما فى الدنيا (ب) وإما فى الآخرة. والقرينة اللفظية فى النص هى التى تبين دار الجزاء.

فالمكافأة فى الآخرة. يدل عليها قوله: «إذا صنعت غداء أو عشاء؛ فلا تدع أصدقائك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء؛ لئلا يدعوك هم أيضاً؛ فتنال المكافأة على صنيعك. ولكن إذا أقمت مأدبة فادع الفقراء والكسحان والعرجان والعميان. فطوبى لك إذ ذاك؛ لأنهم ليس بإمكانهم أن يكافئوك؛ فتكافأ فى قيامة الأبرار» (لو ١٤: ١٢ ـ ١٤)

فقد بين هذا النص: أن المكافأة تكون فى الحياة الآخرة؛ عند قيامة الأبرار من القبور.

وروى لوقا فى سفر الأعمال: أن القيامة من الأموات تكون للأبرار وللأشرار. غير أنه لا قيامة للأشرار. على معنى: أنه لاحظ لهم فيها. يقول: «على أنى أقر: بأنى أعبد إله آبائى، على الطريقة التى يزعمون أنها شيعة. وأومن بكل ما جاء فى الشريعة وكتب الأنبياء، راجيا من الله ما يرجونه هم أيضاً. وهو أن الأبرار والفجار؛ سيقومون. فأنا أيضاً أجاهد النفس؛ ليكون ضميرى، لا لوم عليه عند الله وعند الناس» (أعمال ٢٤: ١٤ ـ ١٦)

وقال المسيح: إن الأبرار والفجار يتساوون فى منافع الحياة الدنيا. وذلك أنه فى نزول المطر؛ ينزل على الكل، وفى طلوع الشمس؛ تطلع على الكل. وحيث أنهم متساوون فى منافعها؛ فإنه لابد من حياة أخرى لا يتساوون فيها. يقول: «لأنه يطلع شمسه على الأشرار والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفجار» (متى ٥: ٤٥)

والدليل الخامس من توراة موسى على البعث من الأموات: هو إلزام التوراة للإنسان بأنه مسئول عن أعماله. والمسئول عن أعماله؛ يحاسب عليها. ففى سفر التثنية: «إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم. ليست عسرة عليك، ولا بعيدة منك. ليست هى فى السماء؛ حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء، ويأخذها لنا، ويسمعنا إياها؛ لنعمل بها، ولا هى فى عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر، ويأخذها لنا، ويسمعنا إياها؛ لنعمل بها. بل الكلمة قريبة منك جداً، فى فمك، وفى قلبك؛ لتعمل بها.

انظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر» (تث ٣٠: ١١ - ١٥)

وفى سفر العدد: «وأما النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء؛ فهى تزدرى بالرب، قطعا تقطع تلك النفس من بين شعبها. ذنبها عليها» (عد ١٥: ٣٠ - ٣١)

وقد أظهرت التوراة: أنه من زمان «آنوش» «ابتُدئ أن يُدعى باسم الرب» (تك ٤: ٢٦) أى أنه قد انقسم الناس إلى قسمين قسم مع الله، وقسم مع الشيطان. وأن الله يمهل الذين يسيرون مع الشيطان، ويلزمهم بالحجة عن طريق القسم الذى هو معه. ثم يعطى عقابا؛ ليزجر عن الشر، وليحجز عن الإثم. وقد أظهر العقاب عيانا جهارا فى قوله لنوح: «نهاية كل بشر قد أتت أمامى؛ لأن الأرض امتلأت ظلما منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض» (تك ٦: ١٣) وقد أهلكهم بطوفان الماء. وفى المقابل أنعم على عباده بخير وفير. هذا فى الدنيا. ولا يستبعد مثله فى الآخرة.

وقد فسر المسيح عيسى ﷺ النصين السابقين بقوله: إن النص الأول ينص على أن الله قد خلق الإنسان حرا؛ ليتحقق عدله فى الثواب وفى العقاب. وأن النص الآخر يدل على أن الله سيحاسب الناس على أعمالهم فى يوم القيامة، وذلك فى قوله: «ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس؛ سوف يُعطوّن عنها حسابا يوم الدين؛ لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان» (متى ١٢: ٣٦ ـ ٣٧)

والدليل السادس من توراة موسى على البعث: النص على صحف للأعمال، وحفظها إلى يوم الحساب. ولم تحفظ إن كان الدهر يهلك، ولا بعث ولا حساب؟ وقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزا عندى، مختوما عليه فى خزائنى. لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢: ٣٤ ـ ٣٥) يدل على ذلك. ويقول ملاخى النبى: «حينئذ كلم متقو الرب. كل واحد قريبه. والرب أصغى وسمع، وكتب أمامه سفر التذكرة، للذين اتقوا الرب، وللمنكرين فى اسمه» (ملا ٣: ١٦) يريد أن يقول: إن أعمالهم فى صحف عندى.

وصحف الأخيار محصاة فى جانب، وصحف الأشرار محصاة فى جانب آخر. ففى سفر إشعياء أن العبد المتألم أُحصى فى نظر الله مع الأخيار، وأُحصى فى نظر الناس مع الأشرار: «وأحصى مع أثمة» (إش ٥٣: ١٢)

وقال المسيح للحواريين: «وأما أنتم فحتى شعور رءوسكم محصاة» (متى ١٠: ٣٠)

وقال أيوب: «أليس البوار لعاملى الشر، والنكر لفاعلى الإثم؟ أليس هو ينظر طرقى، ويحصى جميع خطواتى؟» وقد ذكر الله تعالى فى القرآن الكريم أن علماء بنى إسرائيل ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[1] وهذا يدل على أن مقصود أيوب من ﴿البوار﴾ هو الهلاك فى يوم الحساب. وصرّح أيوب بذلك؛ فإنه قال بعد كلام حسن: «إن كنتُ رفضت حق عبدى وأمتى فى دعواهما علىّ، فماذا كنت أصنع حين يقوم الله؟ وإذا

(١) سورة ابراهيم الآية: ٢٨

افتقد، فبماذا أجيبه؟» (أى ٣١) يريد أن يقول: إذا انتصب الله لدينونة العباد فى يوم الدين، وافتقد أعمالهم، وسألنى عما عملت. فبماذا أجيب إن كنت قد فعلت الشر؟ وكيف أهرب فى هذا اليوم العصيب إذا كنت مستحقاً للبوار؟

والافتقاد: هو الطلب لفعل شىء كان قد وُعد به؛ لقوله: «وافتقد الرب سارة، كما قال...» - «أفتقد ذنوب الآباء» - «إلى يوم افتقادى إياها» - «يمجدون الله فى يوم الافتقاد» (١ بط ٢: ١٢)

والدليل السابع من توراة موسى على البعث: التعبير بانضم إلى قومه. ومعناه: أن الأخيار إذا مات منهم واحد، يقولون عنه: إنه «انضم إلى قومه» والأشرار إذا مات منهم واحد يقولون عنه: «انضم إلى قومه» وهو ينضم إلى قومه؛ ليقوم معهم فى يوم الدين.

ففى سفر التكوين عن إبراهيم عليه السلام: «وانضم إلى قومه» (تك ٢٥: ٨)

وعن إسماعيل عليه السلام: «وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه» (تك ٢٥: ١٧)

وعن يعقوب عليه السلام: «أنا أنضم إلى قومى» (تك ٤٩: ٢٩)

وموسى وهارون عليهما السلام: «تضم إلى قومك أنت أيضاً، كما ضم هرون أخوك» (عدد ٢٧: ٣)

وداود عليه السلام: «لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله؛ رقد، وانضم إلى آبائه» (أ ع ١٣: ٣٦)

وفى سفر الجامعة: «وهكذا رأيت أشراراً يدفنون، وضموا»

وبعده: «الخاطئ وإن عمل شراً مئة مرة، وطالت أيامه؛ إلا أنى أعلم أنه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه، ولا يكون خير للشرير، وكالظل لا يطيل أيامه؛ لأنه لا يخشى نداء الله» (جا ٨: ١٠ -)

والدليل الثامن من توراة موسى على البعث: هو أن علماء بنى إسرائيل علموه للأمم الذين دعوهم إلى الدخول فى دين موسى، ودخلوا فيه. ولو كانت التوراة خالية من ذكره؛ لما علموه لأهلهم وللأمم. ومما يدل على ذلك:

قانون حمورابى. وهو يوجد الآن بمتحف اللوفر بباريس. وله أثر آخر، فى خمسة وخمسين لوحة من اللبن، بالمتحف البريطانى. وحمورابى سنة ٢١٢٥ - ٢٠٨١ ق. م وعدد مواده مائتان وثمانون واثنتين مادة وقد حفر هذا القانون على تمثال من الحجر الأسود، ارتفاعه ثمانية أقدام. واكتشف فى سنة ١٩٠١ على يد أحد الغزاة فى إحدى مدن الجبال الفارسية.

ويقال: إن هذا القانون كان قبل زمان موسى عليه السلام، وأن كتّاب التوراة وهم فى بابل كانوا على علم به. ومن الممكن أن يقال: إنه كان بعد نزول التوراة بزمان. ولأن التواريخ مشكوك فيها، لا يقدر أحد على التأكيد على زمان بعينه. ونحن نعلم: أن نبى الله يونس عليه السلام كان رسولا من الله إلى أهل «نينوى» وهم من الذين كانوا تحت حكم ملوك «بابل» فى زمن من الأزمان، وقد كان هو من اليهود العبرانيين من بعد موسى. ودعاهم إلى الله فتابوا وساروا على شريعة موسى. ويقول كتّاب الأناجيل: إن المسيح وبخ اليهود بأنهم أهل الشريعة، ولم يتوبوا كما تاب أهل نينوى، بمناداة يونان - الذى هو يونس عليه السلام - وأهل نينوى لم يكونوا من بنى إسرائيل، وأمروا معهم بالدخول فى دين موسى. كما دخل أهل سبأ فى حياة سليمان عليه السلام، وهم ليسوا من بنى إسرائيل.

ومن يعتقد: أن حمورابى كان قبل زمان موسى بوقت طويل. فقد بنى اعتقاده على قانون الزواج؛ لأنه مخالف لقانون الزواج عند موسى.

* * *

وقد قال كاتب من الكتاب: «وتدل مقارنة النصوص السومرية - البابلية - على أن هناك تشابها كبيرا بين النصوص البابلية ونصوص التوراة حول فكرة البعث والنشور بعد الموت. فكلاهما ينكران البعث والقيامة. فليس لدى البابليين جنة ونار، أو نعيم وجحيم»(١)

وهذا خطأ عظيم. فإن فى التوراة السامرية نصوص صريحة على البعث، واليهود العبرانيون لا ينكرونه. والنصارى الذين ورثوا التوراة من اليهود العبرانيين، لا ينكرونه. وهم أعرف الناس بلغة كتابهم.

(١) ص ٢٢٨ مجلة الدراسات الشرقية.

وإن التشابه موجود بين التوراة، والنصوص البابلية، فى أن الإنسان بعد الموت، يذهب إلى دار الأموات. وهو عالم ظلام ورهبة، وأطلق عليه السومريون اسم «العالم السفلى» وسماه البابليون: «أرالو» وقد أطلقت التوراة على عالم الأرواح السومرى والبابلى، عدة تعبيرات منها: «شاؤل» (إش ١٤: ٩ ومز ٤٩: ١٥ ومز ٨٨: ٧) ومنها «الجب العميق» و «عالم الظلمات والأموات» وقضاة العالم السفلى هم المنوطون بمحاكمة النفس.

* * *

وقد قال عالم من علماء الأزهر، هو المرحوم الشيخ عطية إبراهيم: إن كتّاب التوراة وضعوا فيها من شريعة حمورابى. ومما وضعوه: قانون النفس بالنفس والعين بالعين. قال ما نصه: «ومن هنا يمكن معرفة من أين جاء العبرانيون بقانونهم العين بالعين.. الخ» هذا نص كلامه. وفى القرآن الكريم: أن الله تعالى هو الذى أعطاهم هذا القانون. فقد قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١)

* * *

وجاء فى كتاب «كتب الشرق المقدسة وآدابه» ج ١ ص ١٠

«المعتقدات اليهودية والمسيحية تأسست على التفكير والعلم البابلى، ومعتقداتنا الحديثة، لا تزال مرتبطة بخيوط يمكن تتبعها إلى الأصل البابلى» أ. هـ

وقد علق على هذا بقوله: وساعدهم على ذلك اكتشاف مكتبة «آشور بنيبال» وهو ملك ملك حوالى سنة ٦٦٩ - ٦٢٩ ق. م. ملك «آشور» وأحب العلم واشتغل به، وأسس مملكة عظيمة، فى عاصمة ملكة «نينوى» وعثر على عشرين ألفا من أقراص هذه المكتبة(٢) أ. هـ.

(١) (سورة المائدة: الآية ٤٥). (٢) دراسات فى التوراة - عطية إبراهيم.

والدليل التاسع من توراة موسى على البعث: هو تصريح أنبياء بنى إسرائيل به، فى أسفارهم. وبيان ذلك: هو أن موسى ﷺ بين لبنى إسرائيل فى كتابه: أنه سيأتى نبى مثله، له يسمعون فى كل ما يكلمهم به، وأنه لن يقوم فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى. وأنه لا يحل لنبى من بنى إسرائيل أن يزيد معنى على كتاب موسى أو ينقص منه معنى. ذلك قوله: «أقيم لهم نبيا من وسط، إخوتهم مثلك. وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» (تث ١٨: ١٧ - ١٩)

فإذا وجدنا - على ذلك - تصريحا من نبى من أنبياء بنى إسرائيل بالبعث من الأموات؛ فإنه يصرح بمعنى قال به موسى. وشرحه شرحا وافيا للذين آمنوا به. فإشعياء يقول لما هلك ملك بابل: «الهاوية من أسفل مهتزة لك، لاستقبال قدومك» (إش ١٤: ٩) ويقول داود عن المتكبرين الملاعين: «مثل الغنم للهاوية؛ يُساقون، الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون. غداة. وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم» (مزمور ٤٩: ١٤)

والهاوية: هى جهنم. ودار البوار: هى جهنم.

وقال موسى ﷺ: إن أعمال بنى آدم فى سفر، وهى مذخورة إلى يوم الانتقام. وقد عبر كتّاب الأسفار عن هذا المعنى؛ فقال داود ﷺ: «أما فى سفرك»؟ (مز ٥٦: ٨)

وقال داود عن الأشرار: «اجعل إثما على إثمهم، ولا يدخلوا فى برك. ليمحو من سفر الأحياء، ومع الصديقين لا يكتبوا» (مز ٦٩: ٢٧ - ٢٨) وقال: إن كل عضو من أعضاء الإنسان؛ له سِفر.

فقد خاطب الله بقوله: «رأت عيناك أعضائى، وفى سفرك كلها كتبت» (مز ١٣٨: ١٦)

وكتّاب الأناجيل كتبوا هذا المعنى. فبُولُس يقول عن المجاهدين معه: إن أسماءهم قد كُتبت «فى سفر الحياة» (٢٢. ١٩) «المكتوبين فى سفر الحياة» (٢١: ٢٧)

وقول موسى عليه السلام: «إلى يوم الانتقام» فى النص السامرى؛ أيده ابن سيراخ فى سفره؛ فإنه قد قال: «لا تؤخر التوبة إلى الرب، ولا تتباطأ من يوم إلى يوم؛ فإن غضب الرب ينزل بغتة، ويستأصل فى يوم الانتقام. لا تعتد بأموال الظلم؛ فإنها لا تنفعك بشىء، فى يوم الانتقام» (سيراخ ٥: ٨ - ١٠). وقال: «لا ترتض بمرضاة المنافقين. اذكر أنهم إلى الجحيم لا يتزكّون» (سيراخ ٩: ١٧) - «أعط التقى، ولا تبد الخاطئ؛ فإنه سينتقم من المنافقين والخطأة؛ لكنه يحفظهم ليوم الانتقام» (١٢: ٤ -) «اذكر: إن الموت لا يبطئ. ألم يبلغك عهد الجحيم؟» (١٤: ١٢)

والدليل العاشر من توراة موسى على البعث: هو تصريح المسيح عيسى ابن مريم به. وذلك لأنه نبى من أنبياء بنى إسرائيل، المأمورين باتباع التوراة، وعدم الزيادة عليها، والنقص منها. وهو قد صرح بذلك فى قوله لبنى إسرائيل وللأمم: «على كرسىّ موسى جلس الكتبة والفريسيُّون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا» (متى ٢٣: ٢ - ٣) فلو علّم العلماء أن البعث حق - وهم لن يقولوا به إلا بناء على توراة موسى - لوجب على المؤمن بالله؛ أن يقّر به، ولا يجادل فيه. وقد قال المسيح نفسه أيضاً.

«لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» (متى ٥: ١٧) وفى الناموس نصوص على البعث، وفى أسفار الأنبياء نصوص عليه.

وكان المسيح إذا سُئل عن شىء فى الدين؛ يجيب عنه بأدلة من كتاب موسى. ومثال ذلك.

١ - سُئل عن قيامة الأموات؛ فأقر بها. واستدل عليها بنص فى سفر الخروج.

٢ - سئل عن الوصية العظمى فى الناموس؛ فأجاب بأنها محبة الله. واستدل عليها بنص فى سفر التثنية.

٣ - سئل عن «المسيح» الذى هو النبى الآتى على مثال موسى. من نسل

من يأتى؟ من إسرائيل أم من إسماعيل؟ فنفى أنه من نسل إسرائيل. واستدل على النفى بنص فى سفر الزبور.

وهذا واضح فى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى. وما يقابله فى إنجيل بَرنابا.

ومن كلام المسيح فى يوم البعث: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة؛ ليشتهيها؛ فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك؛ فاقلعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك؛ فاقطعها؛ وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم» (متى ٥: ٢٧: ٣٠)

والدليل الحادى عشر من توراة موسى على البعث: هو تصريح علماء بنى إسرائيل به، السامريين والعبرانيين. وهم على علم بلغة كتابهم.

والدليل الثانى عشر من توراة موسى على البعث: هو تصريح النصارى به. وهم طائفة من بنى إسرائيل. ومثلهم الصابئون

كيفية إحياء الموتى عند أهل الكتاب:

يقول النبى حِزقيال - المسمى أيضاً بذى الكفل - فى الأصحاح السابع والثلاثين من سفره: «كانت علىّ يد الرب. فأخرجنى بروح الرب، وأنزلنى فى وسط البقعة، وهى ملآنة عظاما، وأمرنى عليها من حولها. وإذا هى كثيرة جداً على وجه البقعة وإذا هى يابسة جداً.

فقال لى: يا ابن آدم. أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لى: تنبأ على هذه العظام، وقل لها: أيتها العظام اليابسة. اسمعى كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: ها أنذا أدخل فيكم روحاً، فتحيون، وأضع عليكم عصباً، وأكسيكم لحماً، وأبسط عليكم جلداً، وأجعل فيكم روحاً، فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب.

فتنبأت كما أمرت. وبينما أنا أتنبأ، كان صوت. وإذا رعش. فتقاربت العظام، كل عظم إلى عظمه. ونظرت وإذا بالعصب. واللحم كساها، وبسط الجلد عليها من فوق، وليس فيها روح. فقال لى: تنبأ للروح. تنبأ يا ابن آدم وقل للروح: هكذا قال السيد الرب: هلم يا روح من الرياح الأربع، وهبّ على هؤلاء القتلى، ليحيوا. فتنبأت كما أمرنى، فدخل فيهم الروح. فحيوا. وقاموا على أقدامهم. جيش عظيم جداً جداً» (حز ٣٧: ١ ـ ١٠)

فكيفية إحياء الموتى هى:

أولاً: مرحلة بعث الجسد:

(أ) لما حدث صوت الأمر الإلهى بالإحياء (ب) صار رعش (ج) وتقاربت العظام (د) والتأمت العظام (هـ) وكساها اللحم (و) وبسط الجلد عليها.

ثانياً: مرحلة وضع الروح فى الجسد:

(أ) نادى الله على الرياح (ب) فدخلت كل روح فى جسدها. لقوله: «من الرياح الأربع»

وهذا مثل خلق آدم فى بدء الخليقة:

حدث الأمر الإلهى بأن يكون. فصنع من الطين على مثال إنسان، ونفخ الله فيه الحياة. بواسطة الرياح، فصار آدم نفساً حية.

وهو أيضاً مثل خلق الإنسان فى يوم البعث:

يصير رعش وتتقارب العظام، وتلتئم، ويكسوها الله باللحم ويبسط الجلد عليها. وينفخ فى كل جسد من روحه بواسطة الرياح؛ فتحيا الجثث وتقوم لرب العالمين.

ويستدل اليهود بكلام حزقيال هذا على إمكان البعث فى يوم القيامة. وعلى قدرة الله فى الدنيا. أما النصارى. فهذا نص كلام الآباء اليسوعيين فيه:

«وقد استظهر كثير من الآباء بهذا النص، لإثبات قيامة الموتى. إلا أن

برهانهم مستنتج، فيما صرح به أكثرهم، باعتبار العلاقة بين هذا الرمز والمرموز به إليه. لا باعتبار مفهوم الرمز من حيث هو.

وبيان ذلك - كما ذكره القديس إيرونيمس -: أن هذا المثال - أى مثال قيامة الموتى - **لم يتخذ فى الكتاب المقدس رمزاً إلى لمّ شعث اليهود**؛ إلا لأن قيامة الموتى أمر مقطوع به. لابد أن يتحقق فى مستقبل الزمن. ويزيد هذا الكلام جلاء: ما قاله ترتليانس إن المجاز لا ينتزع إلا من أمر ذى حقيقة. فتلخص من ذلك: أن هذا المثال. لما كان مأخوذاً من القيامة العامة؛ كان دليلاً جازماً على أن هذه القيامة أمر حقيقى، لابد من وقوعه فعلاً»[1] أ. هـ.

***

حجج علماء بنى إسرائيل العبرانيين على البعث من التوراة:

يقول سَعديا الفيومى فى كتابه الأمانات والاعتقادات:

«عرّفنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه قد أعد زماناً لمجازاة الصالحين.

وفيه يفصل بينهم وبين الكافرين. لقوله[2]: «ويكونون لى قال رب الجنود، فى اليوم الذى أنا صانع خاصة، وأشفق عليهم، كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه. فتعودون وتميزون بين الصّدّيق والشرير، بين من يعبد الله ومن لا يعبده» (ملاخى ٣: ١٧ - ١٨) وأقام لنا على ذلك الآيات والبراهين، فقبلناه.

فينبغى أن أذكر موجبات هذا الزمان - المسمى دار الآخرة - من الحجج المعقولة والمكتوبة والمنقولة» وبعدما فرغ من الحجج المعقولة. شرع فى الحجج المكتوبة. وذكر سبع حجج:

الأولى: إن الشريعة تسمى ما يكسبه الإنسان من الحكمة والشريعة: حياة. لقوله: «لم يسلكوا فى فرائضى ولم يحفظوا أحكامى، ليعملوها، التى إن عملها إنسان، يحيا بها» (حز ٢٠: ٢١) وتسمى ما يناله الجاهل، مما

(١) ص ٧٢ - ٧٣ حواش على الكتاب المقدس - ترجمة الآباء اليسوعيين.

(٢) المؤلف ذكر أدلة من التوراة على يوم القيامة بالحروف العبرانية ونحن ذكرناها بالترجمة إلى العربية. من ترجمة البروتستانت والآباء اليسوعيين.

يكسبه بالجهالة: موتاً. لقوله: «النفس التى تخطئ هى تموت» (حز ١٨: ٢٠) ولما لم يجز أن يومئ بهذا إلى حياة الدنيا، إذ الصالح والظالم متفقان فيها؛ وجب أن يومئ بها إلى حياة الآخرة.

الثانية: عرفتنا الشريعة أن ذخراً صالحاً باق بين يدى الله للصالحين، وذخراً سيئاً باق للطالحين. لقوله: «ذكر الصدّيق للبركة، واسم الأشرار ينخر» (أمثال ١٠: ٧) وقال نَحَمْيا: «اذكر لى يا إلهى للخير كل ما عملتُ لهذا الشعب» (نح ٥: ١٩) وقال فى الأشرار: «اذكر يا إلهى طوبيا وسنبلّط حسب أعمالهما هذه. ونوعدية النبية وباق الأنبياء الذين يخيفوننى» (نح ٦: ١٤) وهذا بعد ما قال الله فى التوراة: «وإنه يكون لنا بر، إذا حفظنا جميع هذه الوصايا، لنعملها أمام الرب إلهنا، كما أوصانا» (تثنية ٦: ٢٥)

الثالثة: عرفتنا الشريعة أن لله كتباً ودواوين، محفوظ فيها أعمال الصالحين والطالحين. كقول موسى عليه السلام: «والآن إن غفرت خطيتهم. وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت» (خروج ٣٢: ٣٢)

الرابعة: الإنذار بأن لله - عز وجل - موقفاً يجازى فيه كل من عمل خيراً أو شراً. كقوله: «إن أحسنت، أفلا رفع؟» (تكوين ٤: ٧) وأيضاً: «إن طالت حياتهم فإنهم يحسبون كل شىء، وفى أواخرهم تكون شيخوختهم بلا كرامة. وإن ماتوا سريعاً، فلا يكون لهم رجاء ولا عزاء فى يوم الحساب» (حكمة ٣: ٧ - ١٨)

وأيضاً: «الشرير يتفكر ضدّ الصّديق، ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت» (مزمور ٣٧ - ١٢ - ١٣) وأيضاً: «السالك بلا عيب، وفاعل البر، والمتكلم بالحق فى قلبه، الذى لا يغتاب بلسانه ولا يصنع بصاحبه شراً، ولا يلقى على قريبه عاراً، وعنده الرذيل مهين. ويكرم الذين يتقون الرب. ويحلف المسئ إليه ولا يخلف، ولا يعطى فضته بالربا، ولا يقبل الرشوة على البرئ. فمن عمل بذلك؛ فلن يتزعزع إلى الأبد» (مزمور ١٤: ٢ - ٥)

الخامسة: اتساع الكتب فى أن الله عز وجل حاكم عدل، يكافئ كل إنسان بما يصنعه. قالت التوراة: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة. لا جور فيه. صدّيق وعادل هو» (تثنية ٣٢: ٤) وأيضاً: «الرب بار فى كل طرقه، ورحيم فى أعماله» (من ١٤٥: ١٧)

وأيضاً: «أما الرب فإلى الدهر يجلس. ثبت للقضاء كرسيه. وهو يقضى للمسكونة بالعدل. يدين الشعوب بالاستقامة ويكون الرب ملجأ للمنسحق. ملجأ فى أزمنة الضيق» (مزمور ٩: ٧ ـ ٩) وأيضاً: «لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواته» (أيوب ٣٤: ٢١)

السادسة: التحذير من يوم أعده الله للمجازاة. وقال فيه: «قريب يوم الرب العظيم[١]. قريب وسريع جداً. صوت يوم الرب. يصرخ حينئذ الجبار مرّا. ذلك اليوم يوم سخط، يوم ضيق وشدة. يوم خراب ودمار. يوم ظلام وقتام. يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشُرف الرفيعة. وأضايق الناس فيمشون كالعمى. لأنهم أخطأوا إلى الرب فيسفح دمهم كالتراب ولحمهم كالجلّة. لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم فى يوم غضب الرب، بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها؛ لأنه يصنع فناء باغتاً لكل سكان الأرض» (صفنيا ١: ١٤ ـ ١٨)

السابع: تسمية الثواب موب (مآب) وإن الطالحين يُمنعون منه. لقوله: «لأنه من هو من جميع البشر الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش» (تثنية ٥: ٢٦)

وأيضاً: «ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك. وفعلته للمتكلين عليك تجاه بنى البشر. تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم فى مظلة من مخاصمة الألسن» (مزمور ٣١: ١٩ ـ ٢٠)

وبعد أن فرغ من ذكر أدلة التوراة، شرع فى ذكر نصوص مأثورة عن علماء بنى إسرائيل، مذكورة فى كتاب التلمود: منها: «إن مثل الدنيا عند

---

(١) اقرأ عن يوم الرب فيما بعد.

الآخرة كدهليز عند قصر الملك، الذى ينبغى أن يتشكل المرء فيه بما يصلح له، قبل الدخول إلى القصر، إلى حضرة السلطان» ومنها: «ساعة توبة فى الدنيا، أنفع من جميع دار الآخرة. إذ لا توبة فيها» ومنها: «إن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور. وليس مع ذلك لا طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل ولا شراء ولا بيع، ولا سائر الأمور التى فى الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق - جل وعز -» ومنها: «إن كل من لا يعتقد ثواب الآخرة، وتنزيل التوراة[1]، وصدق الناقلين لها، ليس له ثواب فى دار الآخرة»

ثم تكلم عن الثواب والعقاب. وبين أنه سيكون للروح وللجسد. ولكن الله تعالى سيبدل الأرض غير الأرض، والسموات غير السموات. وإذا كان فى الدنيا زروع وأنهار. فذلك لمعايش الناس. أما فى الآخرة فالناس لا يحتاجون إلى زروع وأنهار، ولا إلى تناسل. ولذلك لن يكون فى الآخرة للمؤمنين ما كان فى الدنيا، بل سيكون لهم نعيم من نور الله. وهذا النعيم حسّى، وللبدن والروح معاً. ولكننا لا نعلم كيفيته. لأنه من نور الله.

وشرع فى ذكر أدلة من التوراة تصرح بالنعيم الحسى والعذاب الحسى. منها ما ترجمته: «نور الصديقين يفرح، وسراج الأشرار ينطفئ» (أمثال ١٣: ٩) «حرش جلدى على. وعظامى احترت من الحرارة فى» (أيوب ٣٠: ٣٠) «ويصير القوى مشاقة، وعمله شراراً. فيحترقان. كلاهما معاً. وليس من يطفئ» (إش ١: ٣٠) «ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا. لم تر عين إلها غيرك يصنع لمن ينتظره» (إش ٦٤: ٤) «ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا عنىّ؛ لأن دودهم لا يموت، ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذى جسد» (إش ٦٦: ٢٤)

واعلم: أن إشعياء ٦٤: ٤ وإشعيا ٦٦: ٢٤ استدل بهما عيسى عليه السلام على أن النعيم والعذاب فى الآخرة للروح والجسد كما نقل عنه القديس بَرنابا.

(١) كلمة التوراة مكتوبة فى أصل المؤلف بالخط العبرى.

ويعلّق سَعديا على النصوص التى نقلناها عنه بقوله: «وهذا القول يوجب أن يحفظ أرواحهم فى أجسامهم، بمعنى لطيف، سوى الحر المؤلم عقاباً لهم ويحتملونه. ويستقيم أيضاً أن يحفظ أرواحهم - أعنى المثابين - فى أجسامهم، بمعنى لطيف حتى يكون النور الواصل إليهم لذة دائمة»

وتحدث عن مكان الثواب والعقاب. فقال: «هؤلاء المثابين والمعاقبين. إذ هم ناس. أجساد وأرواح. لابد لهم من مكان يستقرون عليه، ومحيط يحيط بهم، فيخلقه الخالق - جل وعز - ويسكنهم فيه. وهذا القول ضرورة الخَلق تدفع إلى القول به. ومع ذلك فالكتب قد ذكرته. لكنها سمته سماء وأرضاً، تقريبا إلى فهمنا. إذ ليس نشاهد إلا سماء وأرضاً. ذاك قوله: «لأنه كما أن السموات الجديدة، والأرض الجديدة، التى أنا صانع تثبت أمامى. يقول الرب» (إش ٦٦: ٢٢)

يوم القيامة فى أسفار الأبو كريفا:

وأنقل ههنا من أبو كريفا الأناجيل، ما يدل على يوم القيامة؛ فأقول:

(أ) فى سفر رؤيا إبراهيم النبى عليه السلام - وهو من أسفار الأبو كريفا - أنه رأى أحداثاً مستقبلية، منها: خراب هيكل سليمان عليه السلام، ومجئ المَسِيّا المنتظر، ودينونة الأشرار. وفى هذا السفر: أن الله قال لإبراهيم: إن الشر يأتى من إرادة الإنسان الحرة. أ. هـ

ودينونة الأشرار، تعنى ١ - إما هلاك اليهود على يد المَسِيّا وأتباعه ٢ - وإما الجزاء فى الدار الآخرة.

وسفر عهد إبراهيم - وهو من أسفار الأبو كريفا - يبين أنه عندما شاهد إبراهيم شرور الناس على الأرض، وهو فى أيام موته؛ استمطر الدينونة عليهم. وعندئذ ظهر له - فى رؤيا - الطريق الرحب الذى يؤدى إلى الهلاك، والطريق الضيق الذى يؤدى إلى الفردوس. ثم يرى وزن النفوس فى الدينونة. وبعد موته أخذه ملاك الموت وأتى به إلى الفردوس. أ. هـ

وفى قُصاصة من إنجيل؛ وجدت فى «البهنسا» لقيها «جزنفيل» و«هنت» يقول عيسى عليه السلام: «قبل أن يرتكب الإنسان الشر، يحاول أن يجد كل المبررات، ولكن احترس من أن تفعل نفس هذه الأشياء مثلهم؛ لأن فعلة الشر بين الناس، لا ينالون جزاءهم فى هذه الحياة فحسب، بل ينتظرون دينونة وعذابا شديدا». أ. هـ

(ب) فى سفر أسرار أخنوخ (النسخة السلافية): «أن الله خلق النفس صالحة، ولكن لأنها كانت حرة للإرادة، ولسكناها فى الجسد؛ ظهرت الخطية رغم ما تلقاه الإنسان من تحذيرات من الطريقين. ولذلك فعلى الناس مواجهة الدينونة. ولن ينجو إلا الأبرار من جهنم المعدة للخطاة»

وفى سفر أخنوخ الأول الأصحاحات ٤٥ ـ ٥٧ حديث عن سعادة القديسين وقياس الفردوس ودينونة الملوك والعظماء. والأصحاح ١٠٨ يتحدث عن مكافأة الأبرار وعقاب الأشرار.

حياة البرزخ عند أهل الكتاب:

انفصال الروح عن الجسد من بعد الموت عند اليهود:

يستدل اليهود على أن الروح لا تفنى بفناء الجسد. بقول زكريا: «يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الإنسان فى داخله» (زك ١٢: ١) فسَعديا الفيومى يقول: «عرفنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أنه مبتدأ نفس الإنسان فى قلبه، مع كمال صورة جسمه، لقول (زكريا ١٢: ١) وأنه جعل أجلاً لمقامها مجتمعين. فإذا انقضى، فرق بينهما، إلى أن يتم عدد النفوس التى أوجبت حكمته خلقها. فإذا استتمها، جمع بينها وبين أجسامها، وجازاهم»

وعرف سعديا النفس بقوله: «جوهر عقلى صاف، أصفى من جوهر الكواكب والأفلاك. ونحن ليس نراها حساً»[1]

* * *

(١) ص ١٦٦ الأمانات والاعتقادات.

ولماذا قال اليهود ببقاء الأنفس من بعد الموت؟

لأنه من وسائل جمعهم للمال من غير حلّه، أن بنوا قبوراً مشيدة للشهداء والصالحين. ووضعوا عليها مساجد، وعلّقوا صناديق فى سقوف الأضرحة للمّ الصدقات. زاعمين: أن الميت المدفون تحت الضريح تأتى روحه لتسمع وترى. وتقضى الحوائج، وتزيل الكربات والشدائد.

ولكنهم لا يصرحون بعذاب فى القبر أو بنعيم؛ لأن العذاب عندهم أو النعيم مصرح به فى يوم القيامة. وعلى عدم تصريحهم هذا؛ فإن الأرواح تكون معدومة من قبل يوم المجازاة. وهو يوم القيامة. لقوله: «أليس ذلك مكنوزاً عندى، مختوماً عليه فى خزائنى. لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٢: ٣٤ ـ ٣٥) وفى السامرية: «إلى يوم الانتقام» ولقول سعديا نفسه: «إلى أن يتم عدد النفوس التى أوجبت حكمته خلقها، فإذا استتمها جمع بينها وبين أجسامهم وجازاهم»

ولقول داود عليه السلام «تُرسل روحك، فيخلقون وتجدد وجه الأرض» بعد فناء الأجساد والأرواح فى القبور.

انفصال الروح عن الجسد من بعد الموت عند النصارى:

ويقول النصارى فى الأرواح بما يقول به اليهود، سواء بسواء، ولكنهم لما تكلموا فى حياة البرزخ ـ أى المدة من حين الموت إلى حين القيامة ـ لم يضبطوا كلامهم. وذلك لأنهم قالوا: إن أرواح السعداء عقب الموت مباشرة تكون مع المسيح فى الفردوس. أى أنها لا تعدم بعدم الجسد، وأن أرواح الأشقياء تظل فى عذاب إلى أن تقوم القيامة. وسعادة الروح وشقائها فى الحياة البرزخية يكونان بقدر ضئيل هو أقل مما ينتظرها فى الجنة أو النار. مع أن نصوص التوراة تنفى حياة البرزخ، ونصوص الإنجيل تنفى حياة البرزخ.

وهل لأرواح الأشقياء من فداء فى الحياة البرزخية؟

تقول طائفة منهم ـ هى طائفة الكاثوليك ـ إن روح الميت ستحاكم على الأعمال عقب الموت مباشرة. ونفوس الأخيار ستصعد إلى حيث يقيم

المسيح. ونفوس الأشرار ستنزل فى مكان يسمى «المطهر» لتنال عذاباً على أعمالها السيئة. ومن الممكن فداء النفوس من عذاب المطهر بصدقات وأدعية وصلوات، يوهب ثوابها إلى الموتى. وإذ يفعل ذلك عنهم، تتطهر النفوس من الخطايا، وتخرج من المطهر إلى حيث يقيم المسيح. وهى نفس الحيلة التى احتال بها اليهود فى أكل أموال الناس بالباطل، لما بنوا القبور المشيدة وزعموا: أن أرواح الصالحين تسمع وترى.

وهى نفس الحيلة التى يحتال بها بعض المسلمين فى أكل أموال الناس بالباطل، لما بنوا القبور وزعموا: أن أرواح الصالحين تسمع وترى. ويزعمون أن جميع الموتى ينتفعون بالصدقات، وهبة ثواب قراءة القرآن. وذلك كله لا نصوص عليه، لا من القرآن، ولا من السنة الصحيحة.

والنصارى بقولهم هذا قد وقعوا فى تناقض. وذلك لأنهم يزعمون: أن الأعمال ليست شرط صحة فى دخول الجنة. فإن المسيح قد رفع عنهم الخطايا بموته على الصليب. وههنا يصرحون بعذاب للمقصرين فى الأعمال. وهذا هو التناقض.

وقولهم بـ (أ) المطهر (ب) والفداء. هو سبب ما يحدث على قبور موتى المسلمين فى هذه الأيام. وكذلك قولهم بالشفاعة. والشفاعة عندهم تكون فى الدنيا، وذلك أن الحى منهم يدعو المسيح أو يدعو أمه أو يدعو صالحاً من الصالحين فى نظره بقوله: لقد أذنبت وأخطأت. وها أنا اليوم تبت وأنبت؛ فاشفع لى عند رب العالمين. أن يغفر لى ذنوبى، وأخطائى لا يحاسبنى عليها، وأن يساعدنى على استمرار التوبة. ثم يعمل الأعمال الصالحة. أما فى الدار الآخرة فإنهم لا ينفون الشفاعة رأساً. كما ينفيها القرآن فى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(١) ـ على أحد التفسيرين ـ

النبى ﷺ يصدق اليهود فى إنكارهم عذاب القبر:

---

(١) سورة غافر: آية ١٨.

وفى القرآن الكريم آيات نزلت بمكة، وآيات نزلت بالمدينة، ومن الآيات المكية آية آل فرعون فى سورة غافر. ولم يفهم منها النبى ﷺ أنها تدل على عذاب فى القبر، ولم تفهم عائشة أيضاً. وذلك لأنه بعد الهجرة؛ كانت خادمة تخدم النبى ﷺ فكلما صنعت عائشة معها معروفاً، دعت لها اليهودية بقولها: وقاك الله عذاب القبر. فاستنكرت عائشة رضى الله عنها قولها. واستنكارها هو دليل قوى على أن آية آل فرعون لا تدل عليه. ولذلك سألت النبى ﷺ عن عذاب القبر. وأجاب بالنفى. ثم قال لها: مَن زعم ذلك؟ قالت: اليهودية التى تخدمنا. فقال: «كذبت يهود. وهم على الله أكذب. لا عذاب دون يوم القيامة»[١]

تأييد الثواب والعقاب فى التوراة:

وقد قال تعالى فى القرآن الكريم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٢] والمنزل عليهم فى الكتاب: هو فى الزبور الأول لداود عليه السلام. ونصه فى ترجمة اليسوعيين: «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة المنافقين، وفى طريق الخطأة لم يقف، وفى مجلس الساخرين لم يجلس. بل فى شريعة الرب هواه، وفى شريعته يلهج، نهاراً وليلاً. فيكون كالشجر المغروس على مجارى المياه، الذى يؤتى ثمره فى أوانه، وورقه لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح. ليس كذلك المنافقون. لكنهم كالغفى الذى تذريه الريح. لذلك لا يقوم المنافقون فى الدين، ولا الخطاة فى جماعة الصديقين، فإن الرب عالم بطريق الصديقين، أما طريق المنافقين فتهلك» وفى ترجمة البروتستانت:

---

(١) توجد رواية أخرى تدل على أنه بادر إلى تصديق اليهودية (راجع تفسير سورة غافر فى تفسير ابن كثير الدمشقى) واعلم أن كتب علماء اليهود تنفى عذاب القبر وفى بعض الروايات أنه قال بعد النفى: أوحى إلى أن فى القبر عذاب. وعلى هذه الرواية لا تكون آية آل فرعون نصا فى عذاب القبر. ويلزم على المثبت إيراد آية الوحى. وذلك لأن العقائد لا تثبت بأحاديث.

(٢) (سورة النساء: الآية ١٤٠).

«طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطأة لم يقف، وفى مجلس المستهزءين لم يجلس... إلخ»

وقال تعالى فى القرآن الكريم عن اليهود: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(١)

أى أن فى الدين من الذى لم يفتروا فيه: أن الثواب مؤبد، والعقاب مؤبد. ومن نصوص التأبيد:

١ - «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار. للازدراء الأبدى. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين إلى البر(٢)؛ كالكواكب إلى أبد الدهور» (دانيال ١٢: ٢ - ٣)

٢ - «تعرفنى سبيل الحياة. أمامك شبع وسرور. فى يمينك نعم إلى الأبد» (مزمور ١٦: ١١)

٣ - «لا يفتدى أحد أخاه أصلاً. ولا يعطى لله كفارة عنه. إذ فداء نفوسهم ثمين، حتى لا يحصل عليه إلى الأبد. أفيحيا أيضاً على الدوام، ولا يعاين الفساد؟ بل يعاينه. الحكماء يموتون وكذلك الجاهل والغبى؛ يهلكون ويخلفون غناهم لآخرين. قبورهم منازلهم مدى الدهر، ومساكنهم إلى جيل فجيل. وقد دعوا البلاد بأسمائهم. كان الإنسان فى كرامة فلم يفهم، فماثل البهائم وتشبه بها. هذا هو طريقهم وجهلهم. وأعقابهم يرتضون بهم. سلاه. جعلوا فى الجحيم كالغنم. فيرعاهم الموت ويسود عليهم المستقيمون فى الغداة. ويمحو الجحيم ذكرهم حتى من سكناهم. الله وحده يفتدى نفسى من يد الجحيم، حين يأخذنى. سلاه. لا تخشى إذا استغنى إنسان ونمى مجد بيته؛ فإنه إذا مات لا يأخذ شيئاً ولا ينزل معه مجده. وبينما يبارك

(١) (سورة آل عمران: الآية ٢٤).

(٢) الذين ردوا كثيرين إلى البر: يعنى بهم المجاهدون فى سبيل الله، كما سار إبراهيم عليه السلام أمام الله.

نفسه فى حياته، ويمدح على رغد عيشه؛ ينضم إلى جيل آبائه، الذين لا يعاينون النور أبداً» (مزمور ٤٨ : ٨ ـ ٢٠) وفى ترجمة البروتستانت لفظ «الهاوية» بدل «الجحيم»

٤ ـ «فى البدء أسست الأرض، والسموات هى صنع يديك. هى تزول وأنت تبقى. وكلها تبلى كالثوب. وتطويها كالرداء فتتغير. وأنت أنت وسنوك لن تفنى. بنو عبيدك سيسكنون وذريتهم تثبت أمامك» (مزمور ١٠١ : ٢٦ ـ ٢٩)

تأييد الثواب والعقاب فى أسفار الأبوكرينا عند اليهود:

يوجد مقر للأموات. والأبرار فيه منفصلون عن الأشرار، الذين يقاسون قصاصهم هناك. فسفر أخنوخ يفرق بين أربعة مساكن للراحلين. منها اثنان للأبرار، واثنان للأشرار (٢١ : ١٣) ففريق من الأشرار ـ الذين نالوا العقاب فى هذه الحياة ـ يبقون فى «الهاوية» إلى الأبد، بينما يقوم الآخرون ويمضون إلى عذاب جهنم (١٧ : ٢) أما الأبرار ففى الفردوس «جنة الحياة» (٦١ : ١٢) «جنة البر» (٦٧ : ٢)

وهذه الخاصية لـ «الهاوية» كمكان للعقاب، سواء كان وقتيا أو دائما؛ تُذكر كثيرا فى كتاب اليوبيل ٧ : ٢٩ و ٢٢ : ٢٢ وفى المكّابيين الثانى ٦ : ٢٣ وفى مزامير سليمان ١٤ : ٦ و ١٥ : ١١ و ١٦ : ٢

ويقول الدكتور تشارلز: «إنه فى بعض المواضع صارت الهاوية مسكن النار. وبذلك فهى وجهنم يعنيان شيئاً واحداً» وفى العديد من المواضع فى الشبهات فى أخنوخ ٩١ : ١٠٤ نجد الهاوية وجهنم مترادفتان»

وفى سفر أخنوخ تجد الساقطين الذين زنوا مع النساء (تك ٦ : ٢) مفرزون فى الدينونة للنار الأبدية المتقدة (أخنوخ ٢١ : ١ ـ ٦ و ٩٠ : ٢٠ ـ ٢٥)

وفى سفر أخنوخ تناقض عن القيامة. ففى أخنوخ ٢٢ سيقام الأبرار وفريق من الأشرار وفى أخنوخ ٦١ : ٥ و ٩٠ : ٢٣ وفى مزامير سليمان ٣ : ١٦

أن كل الأبرار سيقامون، ولن يقوم أحد من الأشرار. وفى أخنوخ ٩٠: ٣٨ أن أجساد الأبرار ستتغير فى القيامة.

وفى سفر المكّابيين الثانى: أن القيامة لبنى إسرائيل من دون الناس ٣: ١٦ و ١٣: ٩ و ١٤ و ٢٣ وليس للأمم قيامة ٧: ١٤ و ٣٦

يوم الرب العظيم

هو «اليوم» المحدد، لظهور النبى المماثل لموسى عليه السلام. وهو يوم عظيم ومخيف كما عبر عنه ملاخِى فى سفره. وذلك لأنه هو وأصحابه الأخيار سيقومون بحروب على بنى إسرائيل[1] والأمم، وسينتصرون على بنى إسرائيل والأمم، ويؤسسون مملكة لا تنقرض أبداً، وشعبها لا يترك لملك آخر. كما وضح النبى دانيال فى حديثه عن ملكوت السموات.

ولهذا اليوم العظيم والمخوف علاقة ببنى إسرائيل، وعلاقة بالأمم.

(أ) أما علاقته ببنى إسرائيل. ففى سفر إشعياء أنه يوم تأديب لهم من الله على خطاياهم (إش ٢: ١٢) وفى سفر عاموس أنه ليس نقمة على أعداء بنى إسرائيل فحسب (٥: ١٨) كما كانوا يستفتحون على أمم الكفر، بل إن بنى إسرائيل أنفسهم هم أول من يقع عليهم ضربات تأديب الله. يقول عاموس: «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض. لذلك أعقابكم على جميع ذنوبكم» (عا ٣: ٢)

وليست دينونة الله على بنى إسرائيل للعقاب فقط فإنها هى أيضاً للتطهير والتنقية. إذ سيسلم منهم أناس، ويدخلون فى دين النبى الأمى الآتى، ويكونون زرعاً مقدساً يأخذ أجره مرتين، كما فى إش ٦: ١٣ عا ٩: ٩ صفنيا ٣: ١٣ و ٢٠ وسفر هوشع يوضح هذا بأسلوب رصين.

(ب) وأما علاقته بالأمم. والأمم هم أى أمة غير بنى إسرائيل. فإن التوراة تبين: أن الله تعالى سيستخدم الأمم أدوات لإتمام قضائه على بنى

---

(١) حدث يوم الرب فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إسـرائيل. أى أنه سيـحارب بنى إسـرائيل بالأمم التى دخلت فى دين النبى المـاثل لموسى. ولسـوف تـرجع بقـايا مـن جـمـيع أمم الأرض إلى الله تعـالى وتدخل فى دينه مع الذين دخلوا أولاً، كما فى زكريا ١٤ : ١٦.

وتجـمع أسـفـار التـوراة على أن «ملكوت الله» وهو ملك النبى الأمى المائل لموسى، سيمتـد حتى تمتلئ الأرض من مجد الله، ويدخل الناس فى دين الله أفواجا. انظر:

إش ٢ : ٢ ـ ٥ ميخا ٤ : ١ ـ ٥ إش ٤٢ : ٤ و ٦٠ و ٩٩ : ٣ ـ ٦ إرميـاء ١٢ : ١٤ ـ ١٦ و ١٦ : ١٩ ـ ٢١ حـز ١٦ : ٥٣ و ٥٥ و ٦١ وسـيرد الله الأمم المقـهـورة إلى القوة فى حالة اعتناقها للشـريعة الجديدة ودخولها فى ملكوت الله كما فى عـامـوس ٩ : ١١ حب ٢ : ١٤ من ٢٢ : ٢٧ ـ ٣١ و ٦٥ : ٢ و ٥ و ٨٦ : ٩ ومـز ٨٧ وهذه الحوادث فى لغة كتّاب الأسفار تختص بالأيام الأخيرة لملكوت بنى إسرائيل والأيام الأولى لملكوت النبى الآتى (إش ٢ : ٢ إرمياء ٤٨ : ٤٧ حز ٢٨ : ١٦ هوشع ٣ : ٥ ميخا ٤ : ١)

فى نبوءة دانيال العظيمة عن الممالك الأربع، نراها تتحطم إلى أجزاء، بواسطة «ملكوت السموات» المشبه بحَجَر، قُطع من جبل بغير يدين (دانيال ٢ : ٤٤ و ٤٥ مع ٧ : ٢٧)

وأعطى قـديم الأيام المملكة إلى شـبـه «ابن الإنسـان» (٧ : ١٣). كـمـا يشـارك حَجّى وزكريا النبيـان ـ بعد السبى ـ فى هذه الآمال اللامعة (حجى ٢ : ٦ و ٧ زك ٢ : ١٠ و ٨ : ٢٠ ـ ٢٣ و ١٤ : ١٦) وفى سفر ملاخِى نجد واحداً من أقوى الأقوال النبوية: «من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم» (١ : ١١) ويختتم النبوة بالإعلان عن النبى المـاثل لموسى مـرسـلا من الله؛ فهو الذى سيأتى باليوم «العظيم والمخوف» (ملاخى ٤)

ويتـفق مـعنا اليـهـود والنصـارى فـيـمـا قلناه؛ عن «يوم الرب» وفى الشـواهد التى ذكرناها من الكتاب. ويصـرحون بختم النبوة بالإعـلان عن النبى الأمـى الآتى المـاثل لموسى مـرسـلا من الله؛ فهـو الذى سيـأتى باليوم

«العظيم والمخوف» ووجه الخلاف: هو فى قول النصارى:إن النبى الأمى الآتى هو المسيح ابن مريم. وقد جاء. وفى قول اليهود: إن هذا النبى الأمى لم يأت بعد.

وهم يعلمون علم اليقين: أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لم يحارب ولم ينتصر. وأن الأزمنة التى حددتها النبوءات لظهور النبى الأمى قد تمت فى محمد ﷺ أليس هو الذى أزال دولة الروم من الأرض، كما أنبأ دانيئال؟

الدينونة الأخيرة

والدينونة ومعناها: القصاص والجزاء، تكون فى الدنيا، وتكون فى الآخرة.

والدينونة فى الدنيا تكون للفرد، وتكون للجماعة. فالدينونة على الفرد بسبب أعماله السيئة؛ أشار إليها داود عليه السلام فى المزمور الأول الآية الخامسة.

والدينونة على الجماعة أبرز مثال لها: ما حدث لبنى إسرائيل فى سبى بابل؛ فقد سلط الله عليهم الأمم الكافرة، بسبب أعمالهم السيئة. وأشار داود إلى دينونة على العالم الشرير، فى المزمور السادس والتسعين ١٣ والثامن والتسعين ٩ و ٥٠

وظهور النبى الأمى مع أصحابه الأخيار وحربهم للأشرار من أهل الكتاب وانتصارهم عليهم هو دينونة. وقد نص الكتاب على ذلك فى قوله: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب» وفى القرآن الكريم عن هذه الدينونة: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾(١)

يعنى بديارهم أرض فلسطين. ويعنى بأول الحشر أول لقاء بينه وبينهم فى شخص النبى والصحابة. وذلك لتأسيس الملكوت فى ديارهم وأرضهم.

---

(١) (سورة الحشر الآية: ٢).

ويعبر سفر أخنوخ عن القصاص والجزاء فى الحياة الآخرة بتعبير «الدينونة العادلة» ـ «يوم الدينونة العظيم» ـ «الدينونة الأخيرة» ـ «دينونة كل الأبدية» (١٠: و ٦ و ١٢ و ١٦: ١ و ١٩: ١ و ٢٢: ٤ و ١١ و ٢٥: ٤ و ٩٠: ٢٦ و ٢٧ ... إلخ) «فسيدان الملائكة الأشرار والناس الأشرار، ويُلقى بهم فى جهنم، فى دينونة، لا نهاية لهما» أ. هـ

وفى أسفار الرؤى المتأخرة: نجد أن البعث من الأموات للدينونة الأخيرة، يكون بعد ظهور «المَسيّا» وهو النبى الأمى المماثل لموسى عليه السلام. أى أنه إذا ظهر النبى الأمى؛ تكون «الساعة[1]» قد اقتربت. وذلك لأنه صاحب شريعة سيظهرها الله لجميع الأمم. وسيدين بها الأمم. وحينما تدخل الأمم فى دينه، تكون النهاية للحياة الدنيا،

ومنهم من حدد ملك «المَسيّا» بأربعمائة عام، ومنهم من يقول: إنه غير محدد المدة، ويضم فى مملكته الأمم المخلصين (الأقوال السبلينية ٣: ٦٩٨ ـ ٧٢٦ أخنوخ ٢٠: ٣٠ و ٣٧ مع ٤٨: ٥ و ٥٣: ١ ومزامير سليمان ١٧: ٣٢ ـ ٣٥)

وفى كتب علماء بنى إسرائيل تجد أقوالا مشوشة، منها: أن المدة أربعمائة سنة، وقال بعضهم: هى ألف عام ـ كما جاء فى تاريخ الشعب اليهودى لـ «شورر». وفى نهايتها تجديد العالم والقيامة والدينونة. والسعادة الأبدية للأبرار. وتعتبر دينونة الأشرار ـ غالباً ـ أبدية. وقال بعضهم: إن الدينونة محدودة المدة، ولن تمسهم النار إلا أياماً معدودة.

* * *

ثانياً: افتراق السامريين عن العبرانيين:

أنجب النبى إبراهيم عليه السلام: إسماعيل، وإسحق ـ وجعل الله فى ذريتهما النبوة والكتاب ـ وأنجب أيضاً زمران، ويَقشان، ومَدان، ومِديان، ويشباق، وشوحاً ـ وأيضاً أنجب من السَرارى اللواتى كن له ـ كما هو مكتوب فى التوراة ـ

(١) راجع الكلام عن نبوءة الساعة فى كتابنا البداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل.

وأنجب إسماعيل عليه السلام من الذكور: ١ ـ نَبايوت ٢ ـ وقيدار ٣ ـ وأدبئيل ٤ ـ ومبسام ٥ ـ ومشماع ٦ ـ ودومة ٧ ـ ومَسّا ٨ ـ وحدار ٩ ـ وتيماء ١٠ ـ ويطور ١١ ـ ونافيش ١٢ ـ وقِدمة.

وأنجب إسحق عليه السلام. عيسو ويعقوب.

وأنجب يعقوب (إسرائيل) عليه السلام: من الذكور: ١ ـ رأوبين ٢ ـ وشِمعون ٣ ـ ولاوى ٤ ـ ويهوذا ٥ ـ وزبولون ٦ ـ ويسّاكر ٧ ـ ودان ٨ ـ وجاد ٩ ـ وأشير ١٠ ـ ونفتالى ١١ ـ ويوسف ١٢ ـ وبَنيامين.

* * *

وحلّ يعقوب وبنوه وبنو بنيه ضيوفا على المصريين فى أرضهم. ثم بعد مدة من الزمان خرج بنو يعقوب من مصر بقيادة نبى منهم هو موسى عليه السلام، وعاشوا فى صحراء سيناء.

ثم سكنوا بين سكان سيناء والأردن وسوريا وفلسطين ولبنان.

وبعد موت سليمان عليه السلام افترق بنو إسرائيل إلى فرقتين:

الفرقة الأولى: سبط يهوذا وبنيامين ونفر من سبط لاوِى.

والفرقة الثانية: بقية بنى إسرائيل.

والفرقة الأولى اتخذت مدينة القدس (أورشليم) عاصمة لها، وقالت: إن جبل صهيون هو الجبل الذى قدسه الله وعظمه. والفرقة الثانية اتخذت مدينة نابلس (شكيم) عاصمة لها، وقالت: إن جبل جرزّيم هو الجبل الذى قدسه الله وعظمه.

وكان يطلق على الفرقتين لقب العبرانيين. لأنهم رحلّ يعبرون من مكان إلى آخر فى سبيل الرزق. أو لأن جدهم كان اسمه عابر كما كان يطلق على الفرقتين لقب بنى إسرائيل لأن أباهم واحد هو إسرائيل عليه السلام.

ولما افترقوا صار لكل فرقة اسم تتميز به وتعرف. فالذين اتخذوا القدس عاصمة سموا بالعبرانيين. وهو اللقب الذى كان لجميع بنى إسرائيل. وسميت دولتهم بمملكة يهوذا، لأن الحكام عليهم كانوا من نسل داود من سبط يهوذا. والذين اتخذوا نابلس عاصمة سموا بالسامريين، لأن «عمرى» ملكهم اشترى جبلا من «شامر» بوزنتين من الفضة، وبنى على الجبل مدينة، وسمى المدينة التى بناها على الجبل شامر على اسم «شامر» صاحب الجبل. ونطقت فيما بعد «السامرة» وسميت دولتهم بمملكة إسرائيل نسبة إلى الجد الأول، وسميت أيضاً بملكة أفرايم لأن الحكام عليهم كانوا من نسل أفرايم بن يوسف عليه السلام.

والمشهور قديما وحديثا على الفرقتين: أن الأولى تلقب باليهود العبرانيين: أو باليهود. وأن الثانية تلقب باليهود السامريين. وتوراة الفرقة الأولى تعرف بالتوراة العبرانية، وتوراة الفرقة الثانية تعرف بالتوراة السامرية.

* * *

وموسى عليه السلام لما أعطاه الله التوراة موعظة وتفصيلا لكل شئ، أفرز سبط لاوى - الذى هو منه - لحمل التوراة، يعرفونها ويُعرّفونها للناس. وكتب منها ثلاث عشرة نسخة. وضع نسخة فى التابوت. وسلم لكل سبط نسخة للذكرى. وظلت التوراة صحيحة فى أيدى بنى إسرائيل لم يغيروا منها حرفاً واحداً إلى زمن الأسر البابلى.

ثم غير بنو إسرائيل التوراة.

ذلك أنهم فى مدينة «بابل» بعد سنة ٥٨٦ ق. م اتفق العبرانيون والسامريون على تغيير التوراة. لأنهم وهم فى الأسر لما تأكدوا من إدبار الدنيا عنهم. وإقبال الخير على بنى إسماعيل بعد سنوات غير طويلة. رأوا أن يحتفظوا بكيان مستقل إلى الأبد؛ ومن أجل ذلك كتبوا التوراة بأيديهم

على المبادئ التالية:

١ ـ الله تعالى، إله واحد. ولكن ليس للعالمين، بل لبنى إسرائيل من دون الناس.

٢ ـ شريعة التوراة أنزلها الله تعالى. ولكن ليست للعالمين، بل لبنى إسرائيل من دون الناس.

٣ ـ النبى المنتظر الذى أخبر عن مجيئه موسى عليه السلام سوف يأتى. ولكن ربما يكون من بنى إسرائيل. لا من بنى إسماعيل.

وكتب لهم «عَزرا» كتاب التوراة على تلك المبادئ. وعرضها عليهم فسّروا بها.

* * *

ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بتوراة عزرا، وسكن العبرانيون فى مدنهم، وسكن السامريون فى مدنهم. ظهر عداء شديد بين العبرانيين وبين السامريين بسببه اختلفت التوراة العبرانية عن التوراة السامرية. ويقول العبرانيون: إننا على حق. ويقول السامريون لهم: بل نحن وحدنا على الحق وأنتم الذين حرفتم وغيرتم وأزدتم وأنقصتم من كتاب الله.

* * *

وفى زمن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كان العداء شديدا لا يطاق بين العبرانيين والسامريين، وبسبب العداء كان اليهود لا يعاملون السامريين، وكان العبرانيون يلقبون الخارج على تقاليدهم بلقب «السامرى» دلالة على أنه منبوذ من قومه.

والمسيح لأنه صاحب دعوة لم يبال بهذا العداء وذهب إلى مملكة السامريين وبشر بدعوته. ولما سألته امرأة من السامريين بعدما علمت أنه نبى: أينا على حق؟ نحن أم أنتم؟ أينا على حق لأننا نصلى ناحية جبل

جزريم وأنتم تصلون ناحية جبل صهيون؟

أجاب المسيح: بأن القبلة ستنزع من جزِريم وصهيون إلى مكان آخر.

ففى الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا[1] أن المسيح «أتى إلى مدينة من السامرة يقال لها: سوخار[2] بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه[3]. وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر. وكان نحو الساعة السادسة[4]. فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء. فقال لها يسوع: أعطينى لأشرب. لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما. فقالت له المرأة السامرية؟: كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى، وأنا امرأة سامرية. لأن اليهود لا يعاملون السامريين[5].

أجاب يسوع وقال لها: لو كنت تعلمين عطية الله ومَن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا[6]؟ قالت له المرأة: يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحى؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر، وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟ أجاب يسوع وقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية[7]. قالت له المرأة يا سيد أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى. قال لها يسوع: اذهبى وادعى

(١) أنظر أيضاً إنجيل برنابا.

(٢) قضاة ٩: ٧ و ٤٦ وإشعياء ٢٨: ١.

(٣) تسكوين ٣٣: ١٩ و ٤٨: ٢٢ ويشوع ٢٤: ٣٢.

(٤) تحتسب الساعات من بدء النهار.

(٥) الملوك الثانى ١٧: ٢٤ ولوقا ٩: ٥٢ و ٥٣ وأعمال ١٠: ٢٨.

(٦) إشعياء ١٢: ٣ و ٤٤: ٣ وإرمياء ٢: ١٣ وزكريا ١٣: ١ و ١٤: ٨.

(٧) يوحنا ٦: ٣٥ و ٥٨ و ٧: ٣٨.

زوجك وتعالى إلى ههنا. أجابت المرأة وقالت: ليس لى زوج. قال لها يسوع: حسنا قلت ليس لى زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق. **قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبى[1]. آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل[2]، وأنتم تقولون: إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه[3]. قال لها يسوع: يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة، لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب[4].** أنتم تسجدون لما لستم تعملون[5]. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود[6]

ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا. قالت له المرأة: أنا أعلم أن مَسِيًّا الذى يقال له المسيح؛ يأتى. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شئ»

* * *

وقد آمن بدعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كثيرون من اليهود السامريين فى حياته، ولم يطلبوا قتله. ففى الأصحاح الرابع من يوحنا عن إيمان كثيرين من السامريين: «فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التى كانت تشهد أنه قال لى كل ما فعلت. فلما جاء السامريون سألوه أن يمكث عندهم. فمكث هناك يومين. فآمن أكثر جداً بسبب كلامه»

---

(١) لوقا: ٧: ١٦ و ٢٤: ١٩ ويوحنا ٦: ١٤ و ٧: ٤.

(٢) قضاة ٩: ٧.

(٣) تثنية ١٢: ٥ و ١١ والملوك الأول ٩: ٣ والأيام الثانى ٢: ٨.

(٤) مل ١: ١١ و ١ تى ٢: ٨.

(٥) الملوك الثانى ١٧: ٢٩.

(٦) لأن الخلاص هو من اليهود: عبارة زائدة على النص. وغرض الزيادة: أن النبى المنتظر سيكون من بنى إسرائيل.

وفى الأصحاح الثامن من يوحنا يقول المسيح لليهود العبرانيين: «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبت فى الحق. لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم ممّا له، لأنه كذاب وأبو الكذب. وأمّا أنا فلأنى أقول الحق لستم تؤمنون بى؟ الذى من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله»

ويرد عليه اليهود العبرانيون بقولهم: «ألسنا نقول: حسنا. إنك سامرى. وبك شيطان» ثم يطلبونه ليقتلوه فيختفى ويخرج من الهيكل.

وبعد رفع المسيح ﷺ بشر حواريّوه من اليهود العبرانيين بالإنجيل وذهب واحد منهم هو «فيلبّس» إلى مدينة من السامرة فلم يرفضه السامريون. بل قبلوا كلامه. ففى الأصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل «فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة. فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة، وكان يَكْرِزُ لهم بالمسيح. وكان الجموع يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبس عند استماعهم»

ولما سمع أتباع المسيح من اليهود العبرانيين أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ولما ذهبا وشاهدا إيمانهم «رجعا إلى أورشليم، وبشّرا قرى كثيرة للسامريين» وكان ذلك قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

والمسيح عيسى ابن مريم ﷺ ولد فى مملكة اليهود العبرانيين، وتربى فيها. وكان يتعلم فى هيكل سليمان بأورشليم، وكان يعلّم. وممّا علّمه قوله لبنى إسرائيل: إننى ما جئت لأنسخ شريعة التوراة. وإنما جئت للتبشير بالبشرى المفرحة(١). اعملوا بأحكام التوراة كلها إلى أن يأتى وعد الله(٢).

---

(١) محمد ﷺ. (٢) مجىء محمد ﷺ.

ففى الأصحاح الخامس من إنجيل متى يقول المسيح: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإننى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل[1]. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات»، وفى الأصحاح الثالث والعشرين: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسّى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون»

ومن أجل هذا الحكم. حمل النصارى أتباع المسيح عليه السلام التوراة العبرانية وكتب الإنجيل معا. ووضعوهم فى مجلد واحد وسموه «الكتاب المقدس»

لقد حمل النصارى التوراة العبرانية لأن المسيح من اليهود العبرانيين ولم يلتفتوا إلى التوراة السامرية لغنى العبرانية عنها.

ولو أن النصارى آمنوا بقصر التوراة على بنى إسرائيل وحدهم - كما قرر بنو إسرائيل فى بابل - لما نشروا التوراة العبرانية فى العالم بجميع لغات العالم. ولوجدنا صعوبة فى الحصول على التوراة العبرانية. كما هو الحال بالنسبة للتوراة السامرية قبل أن تنشرها مكتبة دار الأنصار بمصر.

إن النصارى إلى يومنا هذا ينشرون التوراة بين الناس. واليهود جميعاً إلى يومنا هذا لا يحاولون إظهارها. وليس من شك فى أن ترجمة النصارى للتوراة ليست بأفضل من ترجمة اليهود للتوراة. للخلاف فى العقيدة بين اليهود والنصارى من جهة. ولأن اليهود أكثر معرفة من غيرهم بلغة كتابهم. وعلى سبيل المثال: يعتقد نصارى الأرثوذكس أن «الروح القدس» مرحلة من مراحل ثلاثة لذات الله عز وجل.

---

(١) مجىء محمد ﷺ بالقرآن لينسخ التوراة.

تصوير مذهب النصارى:

يقولون: إن الله عز وجل قبل أن يدخل فى بطن مريم رضى الله عنها كان يلقب بلقب (الآب) وبعد نزوله من بطن مريم لقب بلقب «الابن» وبعد ما قتله اليهود وصلبوه ووضعوه فى القبر، نزل إلى الجحيم ثم صعد إلى القبر، ومنه ارتفع إلى السماء. ولما استوى على العرش لقب بلقب «الروح القدس»[1] ويعتقد نصارى الكاثوليك والبروتستانت أن «الروح القدس» إله مستقل بنفسه عن الإله «الآب» والإله «الإبن» ولما كانوا يؤمنون بالتوراة التى هى كتاب العقيدة والشريعة لبنى إسرائيل. والمسيح لم ينسخها. ترجموا أول سفر التكوين هكذا: «فى البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه» وغرضهم من الترجمة هذه: إثبات عقيدتهم فى «روح الله» الذى هو «الروح القدس» عندهم. وغرضهم هذا ما كنا لنعرفه لو لم نقرأ ترجمة اليهود نفسها التى تترجم «وريح الله» بدل «وروح الله»[2]

* * *

ولو لم نقرأ التوراة السامرية ما كنا لنعلم كثيراً مما كتبه اليهود بأيديهم فى التوراة لأغراضهم. وعلى سبيل المثال: حينما نقرأ هذا النص فى التوراة العبرانية: يقول الله تعالى: «أليس ذلك مكنوزا عندى. مختوما عليه فى خزائنى؟ لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢: ٣٤ ـ ٣٥) لا نفهم منه أنه يشير إلى الجزاء فى يوم القيامة. بل نفهم أن الجزاء يأتى إما فى الدنيا وإما فى الآخرة. وحينما نقرؤه فى التوراة السامرية لا نفهم منه إلا أنه يشير إلى الجزاء فى يوم معلوم وهو يوم القيامة.

* * *

وما يقال فى المقارنة بين السامرية والعبرانية يقال بين التوراة اليونانية والسامرية، وبين اليونانية والعبرانية. وعلى سبيل المثال نقرأ فى

---

(١) أنظر فصل «أقنوم الروح القدس» فى كتابنا: أقانيم النصارى ـ نشر دار الأنصار بمصر
(٢) أنظر نفس المرجع السابق.

العبرانية هكذا: «وأرفكشاد ولد شالح، وشالح ولد عابر» (تك ١٠: ٢٤) ونقرأ الآية نفسها فى اليونانية هكذا: «وأرفكشاد ولد قينان وقينان ولد شالح» وكاتب إنجيل لوقا أهمل النص العبرى فى الأصحاح الثالث وأخذ بالنص اليونانى. وعلى سبيل المثال أيضاً نقرأ فى السامرية هكذا: «جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر: سبعون» (تك ٤٦: ٢٧) ونقرأ الآية نفسها فى اليونانية هكذا: «جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر خمسة وسبعون»

* * *

واليهود السامريون واليهود العبرانيون متفقون فى أمور، ومختلفون فى أمور. متفقون فى وحدانية الله وعظمته، وأنه يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، وأنه سيجازى الناس على أعمالهم. وأنه أنزل التوراة هدى ونور، وأنه سوف يرسل نبيا مثل موسى عليه السلام.

ومختلفون فى أمور أهمها:

١ ـ أسفار الأنبياء. فإن العبرانيين يعترفون بها والسامريون يرفضونها.

٢ ـ النص على يوم القيامة. فإن العبرانيين لم يصرحوا به للأميين فى توراة موسى، وإنما صرحوا به فى أسفار الأنبياء. وصرح به السامريون فى توراة موسى. ومع تصريح العبرانيين فى أسفار الأنبياء اختلفوا فيما بينهم فقال بعضهم: إن البعث ليوم القيامة بالجسد والروح. وقال بعضهم: بالروح دون الجسد. وخلافهم هذا أظهروه فى ترجمة هذا النص: «أما أنا فقد علمت أن وليى حى والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدى هذا، وبدون جسدى أرى الله. الذى أراه أنا لنفسى، وعيناى تنظران وليس آخر» (أيوب ١٩: ٢٥ ـ ٢٧) هذا النص من ترجمة البروتستانت يثبت البعث بالروح دون الجسد. والآباء اليسوعيون يترجمونه هكذا: «إنى لعالم بأن فادى حى، وسيقوم آخرا على التراب. وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء بجلدى، ومن جسدى أعاين الله الذى أنا أعاينه بنفسى، وعيناى تريانه. لا غيرى»

وترجمتهم: تثبت البعث بالروح والجسد: ويعلقون عليها بما نصه: «هذا الموضع مشهور جدا لتصريحه بعقيدة القيامة على غير إشكال ولا احتمال للتأويل. وإن حاول قوم جهد استطاعتهم أن يحولوا معنى هذه الآيات مع ما فيها من الوضوح فى بيان المراد. إذ أى عبارة تكون أجلى وأصرح من قوله «من جسدى أعاين الله» وقوله «أنا أعاينه بنفسى، وعيناى تريانه لا غيرى؟[1]» أ. هـ

٣ - جبل جرزيم. يقدس السامريون جبل جرزيم فى أرض فلسطين ويتجهون إليه فى الصلاة والحج. ويقدس العبرانيون جبل صهيون.

* * *

وقد تغيرت نظرة اليهود العبرانيين اليوم إلى السامريين. إنهم ينظرون اليوم إليهم على أنهم إخوة. اختلفوا معهم فى الرأى، كما اختلف العبرانيون من قبل المسيح وفرقهم الخلاف إلى فريسيين وصدوقيين. وكما اختلفوا من بعد المسيح إلى ربانيين وقرائيين. يقول اليهودى العبرانى عزرا حداد عن السامريين: «إن حدة الجفاء المستحكم بين السامريين واليهود، قد خفت بتأثير موجة الاضطهاد التى غمرت الفريقين، فقربت المصائب بينهما، بل صاروا يُمتنحون ببعض الشعائر الموسوية، وحرصهم الشديد على تطبيقها.

وفى القرن السابع للميلاد تقلّص ظل الروم عن فلسطين بفضل الفتح الإسلامى، فاستفاد اليهود والسامريون على السواء من تسامح المسلمين تجاه معتقد الشعوب المحكومة منهم فأصبح السامريون فى عداد أهل الذمة. وفى أيام الدولة الفاطمية أصاب السامريون عزا ورفاهية. فكان يحكمهم عامل سامرى من صفورية يدعى «تقوى بن إسحق» ويحدثنا مؤرخو العرب عن وجود جماعات مرفهة منهم فى الشام ومصر. وهناك رسالة من سنة ١٢١٤ م تدّل على الشأن الذى بلغته هذه الطائفة فى «نابلس»[2]

---

(١) ص ١٦ حواش على المجلد الأول من الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين طبعة بيروت سنة ١٩٦٨ م.

(٢) اليعقوبى ص ٣٢٩.

والظاهر أن الحملة الصليبية التى أهلكت عدداً غفيراً من اليهود والمسلمين فى فلسطين لم تؤثر كثيراً على السامريين. فقد وجد «بنيامين» الذى زار موطنهم حوالى سنة ١١١٧ م نحو ألف عائلة منهم فى «نابلس» و٢٠٠ فى «قيسارية» و ٣٠٠ فى «عسقلان» و ٤٠٠ فى «دمشق» كما يحدثنا عن احتفالهم بعيد الفِصح على شكل ما هو معروف عنهم فى الوقت الحاضر.

أما قوله: بأن الكتابة السامرية تنقصها ثلاثة أحرف؛ فلا صحة له. وكل ما هنالك: هو أن السامريين قد احتفظوا بالخط العبرانى القديم، فى حين اقتبس اليهود الخط الأشّورى المربع بعد عودتهم من سبى بابل.

والسامريون موحدون لا ريب فى توحيدهم، واعتقادهم راسخ فى أنهم من بنى إسرائيل، من آل يوسف الصديق، وهم لا يعترفون بغير أسفار موسى الخمسة من الكتاب المقدس، يتبعون نصوصها ومنطوقها الحرفى. شأنهم بذلك شأن القرائين فى عدم اتباعهم أحكام التلمود. فهم شديدو الحرص على حرمة السّبت. لا يُرى عندهم فيه نار أو نور، ويصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود. لكنهم يتشددون به فلا يستثنون منه حتى الأطفال والمرتضعين. وفى عيد الفصح يحجون جبل الجرزيم فينحرون الأضاحى. مثل ما كان يفعل الإسرائيليون قديما على جبل القدس. وهم يسّمون الحجر الذى ينحرون عليه أضحيتهم بالصخرة تشبها بالصخرة المعروفة فى الحرم الشريف

والسامريون مثل سائر اليهود يؤمنون بيوم القيامة وبوجود الملائكة **وظهور المسيح فى آخر الأيام. لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف على حين يعتقد اليهود أنه من آل داود.**

وقد عنى بأخبار هذه الفرقة عدد كبير من الرحالة الأوربيين فى القرون الوسطى والحديثة. وفى سنة ٥٨٤ م عثر العلامة «سكاليجر» فى القاهرة على تقويمين قديمين للسامريين، كما وجد فى «غزة» مخطوطات خاصة بهم فوضع على إثر ذلك: أول رسالة علمية فى السامرة وتاريخها وتقاليدها.

وبعده بربع قرن نشر عالم إيطالى: النص الأصلى لنسخة التوراة السامرية، كان قد عثر عليها فى «دمشق» فأثار نشرها اهتمام المحققين،

وكتبوا عنها البحوث المطولة. ولا يزال يعثرون بين حين وآخر على آثار وكتابات سامرية قديمة فيها ما يلقى ضوءاً جديداً على تاريخ هذه الطائفة.

ويقيم اليوم أبناء هذه الفرقة فى «نابلس» وضواحيها»[1] أ. هـ

* * *

ثالثاً: الصابئون:

سنذكر ههنا ما يؤدى الغرض فى معرفة طائفة الصابئين، وسنسكت ههنا عن طائفة النصارى؛ لأننا تكلمنا عنهم كثيرا فى غير هذا الكتاب. ومن أراد الزيادة عن الصابئين؛ فليطالع كتابنا الصابئون فى القرآن الكريم. أتباع نبى الله يحيى - عليه السلام -.

فى كتاب التوراة: أن الله تعالى وعد بنى إسرائيل بنبى يقيم لهم الدين من إخوتهم مثل موسى. ذلك قوله: «يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» - «أُقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (تثنية ١٨: ١٥ - ٢٢)

ولأن هذا الوعد قد عرفه الناس بالكلام المفصح عنه فى التوراة؛ أطلقوا على الوعد لقب «الكلمة» فقالوا: وعد الله أو كلمة الله. ولما كان الوعد دالا على نبى، قالوا عن هذا النبى إنه «كلمة الوعد» أو «الكلمة»

وفى سفر إشَعياء النبى: أنه يجب على علماء بنى إسرائيل أن يعلنوا عن «الكلمة» للناس. وذلك ليسهل عليهم قبول هذا النبى إذا جاء. ففى الأصحاح الأربعين يطلب الله منهم أن يصرخوا فى البرية قائلين: «أعدوا طريق رسول الرب» المماثل لموسى «قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا» أى سهلوا للأميين من الناس سبل معرفة رسول إلهنا «فيعلن مجد الرب» أى يظهر مُلك رسول الله، وسلطانه ويراه كل بشر جميعاً. واعلموا: أنه إن فنى كل شئ وزال؛ فإن كلمة الله وهى وعده بنبيه؛ لن تفنى ولن تزول «وأما كلمة إلهنا؛ فتثبت إلى الأبد» (إش ٤٠: ١ -)

---

(١) راجع التقديم للتوراة السامرية.

ولما ظهر يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ «كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا فى البرية» أى كانت دعوته هى التبشير بمجىء النبى المماثل لموسى، الملقب بكلمة الوعد.

ويقول لوقا: إن دعوة يوحنا كانت شرعية؛ لأن فى التوراة فى سفر إشعياء مكتوب أنه يجب على الأنبياء والعلماء وكل اليهود أن يصرخوا فى البِّرية للإعداد لطريق رسول الرب.

وأن يوحنا صرخ استناداً على نص التوراة هذا. وفى التوراة أنه فى الأيام الأولى لظهور هذا النبى سيحارب أعداءه، وسينتصر عليهم. واليهود الكافرون به سيكونون من أعدائه، وسينتصر عليهم. ذلك قوله: «والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر...»

والنصوص كثيرة فى التوراة عن هلاك الكافرين به من اليهود مع الأمم الوثنية فى الأيام الأولى لظهوره. وهى التى تدل على «يوم الرب العظيم» ومما فى سفر يُوئيل عن يوم الرب: «ليرتعد جميع سكان الأرض؛ لأن يوم الرب قادم؛ لأنه قريب. يوم ظلام وقتام، يوم غيم وضباب مثل الفجر ممتداً على الجبال. شعب كثير وقوى. لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون...» (يوئيل ٢: ١ ـ) وقد حدث يوم الرب فى زمان عمر بن الخطاب.

وقال عن محمد رسول الله ﷺ المعروف عندهم بلقب «الكلمة»: «أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتى من هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحلّ سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار، الذى رَفْشُه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ»

وهذا كله مذكور فى الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا. وموضع الشاهد منه ههنا: هو أنه كان يُعّمد فى نهر الأردن. أى يصبغ من يقبل دعوته فى الماء؛ ليتميز عن الرافض لها.

وكلمة «صَبَأ» فى اللغة العبرانية أصلها «صبغ» بالغين المعجمة ولأن العبرانية ليس فيها حرف الغين، فإنهم ينطقونها همزة أو عينا مهملة. فيقولون فى صبغ: صبأ أو صبع. والذى يصبغ فى الماء، يقال له: صابئ أو

صابع. لعدم وجود حرف الغين. والمصبوغ فى الماء يقال له: مصبوء أو مصبوع. والذين يقومون بالصبغ فى الماء يقال لهم: صابئون، أو صابعون، ولا يقال لهم صابغون لتعذر النطق بالغين. ويقول لوقا: «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً» أى أن الصبغ فى الماء لم يكن بسبب الاغتسال من الخطايا. وذلك لأن يسوع كان مبرأ من الخطايا. لقوله لليهود «من منكم يُبكّتنى على خطية؟» (يو ٨: ٤٦) وإنما كان بسبب التمييز بين من يقبل النبى الآتى ومن لا يقبله. ومن كان قبل الصبغ مصرا على رفض النبى الآتى؛ فإنه يكون على خطأ عظيم. ويقول يوحنا: إن الفريسيين سمعوا أن يسوع يُصيّر ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا (يو ٤: ١)

وفى الأناجيل كلها أن يوحنا كان يعمد. ففى مرقس: «وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا فى الأردن» (مر ١: ٩) وفى متى «فلما رأى كثيرين من الفريسيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهرُبوا من الغضب الآتى؟» (مت ٣: ٧)

ومنشأ اسم الصابئة فى العالم من أتباع يحيى عليه السلام ولم يكن فى العالم من قبله صابئة. ولكن اليهود وضعوا فى الكتب: أن أهل «حَرّان» الذين كانوا فى زمان إبراهيم عليه السلام كانوا صابئة، بمعنى أنهم عباد أصنام وكواكب ونجوم. وذلك لئلا يظهر للناس أن الصابئة يدعون إلى محمد ﷺ فيسارعون إلى الدخول فى دينه. وكان اليهودى من مكره وخبثه يبنى هيكلا لصنم، ويعبده أمام الناس، ويقول: هذا هو دينى؛ لأنى أنا صابئى. فيظن الناس أن الصابئة عباد أصنام. وفى الحقيقة أنهم لم يسجدوا لصنم قط. والذين سجدوا للأصنام هم اليهود. ففى القرآن الكريم أنهم عبدوا صنم البعل فى أيام إلياس عليه السلام ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾؟[1] وفى التوراة: «بل اختلطوا بالأمم، وتعلموا أعمالهم، وعبدوا أصنامهم؛ فصارت لهم شركا، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا. دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنست الأرض بالدماء، وتنجسوا بأعمالهم، وزنوا بأفعالهم» (مزمور ١٠٦: ٣٥ ـ ٣٩)

(١) (سورة الصافات الآية: ١٢٥).

وكان يحيى عليه السلام يدعو إلى اقتراب «ملكوت السموات» الذى أنبأ عنه النبى دانيئال فى الأصحاح السابع من سفر. وهو ملكوت محمد ﷺ فقد قال متى: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣: ١ - ٢)

وكان عيسى عليه السلام يصبغ كما كان يصبغ يحيى، وكان يدعو إلى اقتراب ملكوت السموات كما كان يدعو يحيى عليه السلام ففى متى: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز، ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤: ١٧)

وقد اشتبك اليهود مع الصابئين فى حروب بسبب دعوتهم إلى محمد ﷺ بسببها هاجر الصابئون من فلسطين إلى سوريا والعراق. ولما ظهر الإسلام أسلم منهم كثيرون، ومن بقى على دينه دفع الجزية للمسلمين كما دفع اليهود والمسيحيون.

وفى أيام القيصر الرومانى قسطنطين جمع «قسطنطين» مجمعا فى مدينة «نيقية» سنة ٣٢٥ م حضره الصابئون والنصارى. وحتم عليهم عدم الجهر بمحمد ﷺ وأجبرهم على التخلى عن العمل بشريعة التوراة. ودمج إنجيل يوحنا المعمدان وإنجيل المسيح عيسى فى إنجيل واحد؛ لأن مضمونهما واحد. وانتخب من كل الأناجيل؛ أربعة هم لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا. وما هى إلا سنوات حتى انقسمت روما إلى مملكتين. شرقية وغربية، ودخلا معا فى حروب ضد الفرس. وعندئذ زال الاضطهاد، وجهرت كل طائفة بعقائدها وتعاون المؤمنون منهم، مع جيوش المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على كسر الروم والفرس.

(تم التمهيد)

تَفْسِيرُ التـورَاةِ

للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

بحسب المكتوب فى الأناجيل الأربعة، وإنجيل برنابا؛ نذكرُ تفسيرا لآيات فى التوراة منسوبا للمسيح عيسى ابن مريم ﷺ ونترك تفسيره لآيات؛ لئلا يطول الكلام. وما سنذكره؛ سيؤدى الغرض بحول الله وطوله. وإذا جاء فى تفسيره نصوص غير النص الذى يفسره، فإننا سنشير إلى مواضعها فى التعليق على نص التفسير. وسنذكر منها تحت قولنا نص التوراة.

وقد قال الثعلبى فى قصص الأنبياء فى قصة بختنصر: «وكان الله تعالى إذا ملّك ملكا من الملوك؛ بعث له نبيا يسدّده ويرشده، ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم. **ولا ينزل عليهم كتبا، وإنما يأمرهم أن يأمروهم بأحكام التوراة**، والنهى عن المعاصى والمنكرات، والدعاء إلى ما تركوا من الطاعات» (صـ ١٨٢)

ومعنى هذا الكلام: أن كل نبى من أنبياء بنى إسرائيل كان على شريعة التوراة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها. وآخر نبى فيهم وهو المسيح عيسى ابن مريم ﷺ كان عليها. ولم يزد عليها ولم ينقص منها؛ لقوله: «ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» (متى ٥: ١٧) والذى نسخ التوراة هو محمد ﷺ وكان المسيح يحل لليهود بعض ما حرمه العلماء على الناس من تلقاء أنفسهم. وعلى ذلك يكون مصدقا للتوراة، أما محمد فإنه مصدق ومهيمن. والمهيمن من حقه النسخ، والمصدق ليس من حقه النسخ. ولذلك لم ينشئ المسيح ديانة، ولم يؤسس مذهبا وإنما كان يبشر بمحمد ويدعو الناس إلى الإيمان به إذا جاء.

قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١)

وفى تفسير ابن كثير: «ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئاً، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ، وكشف لهم عن الغطاء فى ذلك. كما قال فى الآية الأخرى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (٢)

وفى الأناجيل ما يدل على أن المسيح لم ينشئ ديانة. ومن ذلك: أنه فى آخر حياته على الأرض أوصى أتباعه بالسماع من علماء بنى إسرائيل. وفيهم من يؤمن به، وفيهم من لا يؤمن به. والذى أنشأ للمسيحيين ديانة هو «بُولُس» وذلك بحسب المكتوب فى كتبهم.

مع ملاحظة: أن الرسولين المذكورين فى سورة يس هما بَرنابا وبولس. وأن الثالث المعزّز به هو يوحنا، وأن القرية غير المدينة. وأن التحريف المنسوب إلى بولس كان بعد إرساليتهم إلى قرية «بافُوس» ومدينة «لسترَة» (أع ١٣ +) فيكون بولس هو المعنى بقول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٣)

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦: ٥٠

(٢) سورة الزخرف: الآية ٦٣

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٥

الله والمال

أولاً: نص التوراة:

أ - «حقا إنك لإله محتجب» (إش ٤٥: ١٥)

ب - «أنا الذى هو أنا» (خر ٣: ١٤)

ج - «ارحمنا يا الله» (دا ٩: ١٦)

د - «إن الله أبونا» (إش ٦٣: ١٦)

هـ - «كونوا قدّيسين؛ لأنى أنا إلهك قدوس» (لا ١٩: ٢)

ثانياً: نص الإنجيل:

«وجمع[١] يسوع ذات يوم تلاميذه وصعد إلى الجبل[٢]. فلما جلس هناك دنا منه التلاميذ ففتح فاه وعلمهم قائلاً: عظيمة هى النعم التى أنعم بها الله علينا فترتب علينا من ثم أن نعبده بإخلاص قلب. وكما أن الخمر الجديدة توضع فى أرعية جديدة[٣] هكذا يترتب عليكم أن تكونوا رجالاً جدداً إذا أردتم أن تعوا التعاليم الجديدة التى ستخرج من فمى. الحق أقول لكم: كما أنه لا يتأتى للإنسان أن ينظر بعينه السماء والأرض معاً فى وقت واحد فكذلك يستحيل عليه أن يحب الله والعالم. لا يقدر رجل أبداً أن يخدم سيدين[٤] أحدهما عدو للآخر لأنه إذا أحبك أحدهما أبغضك الآخر. فكذلك أقول لكم: حقّا إنكم لا تقدرون أن تخدموا الله والعالم. لأن العالم موضوع فى النفاق والجشع والخبث[٥]. لذلك لا تجدون راحة فى العالم بل تجدون بدلاً منها اضطهاداً وخسارة. إذاً فاعبدوا الله واحتقروا العالم. إذ متى تعبدون تجدون راحة لنفوسكم[٦].

أصيخوا السمع لكلامى لأنى أكلمكم بالحق. طوبى للذين ينوحون على

---

(١) برنابا ١٦: ١. (٢) مت ٥: ١. (٣) مت ٩: ١٧.

(٤) مت ٦: ٢٤ ولو ١٦: ١٣. (٥) ١ يو ٥: ١٩. (٦) مت ١١: ٢٩.

هذه الحياة لأنهم يتعزّون[١]. طوبى للمساكين[٢] الذين يعرضون حقاً عن ملاذ العالم لأنهم سيتنعمون بملاذ ملكوت الله. طوبى للذين يأكلون على مائدة الله[٣] لأن الملائكة ستقوم على خدمتهم. أنتم مسافرون كسياح. أيتخذ السائح لنفسه على الطريق قصوراً وحقولاً وغيرها من حطام العالم؟. كلا ثم كلا. ولكنه يحمل أشياء خفيفة ذات فائدة وجدوى فى الطريق. فليكن هذا مثلاً لكم. وإذا أحببتم مثلاً آخر فإنى أضربه لكم لكى تفعلوا كل ما أقوله لكم.

لا تثقلوا قلوبكم بالرغائب العالمية قائلين: من يكسونا[٤] أو من يطعمنا؟. بل انظروا الزهور والأشجار مع الطيور التى كساها وغذاها الله ربنا بمجد أعظم من كل مجد سليمان. والله الذى خلقكم ودعاكم إلى خدمته هو قادر أن يغذيكم. الذى أنزل المن[٥] من السماء على شعبه إسرائيل فى البرية أربعين سنة وحفظ أثوابهم من أن تعتق أو تبلى[٦]. أولئك الذين كانوا ست مئة وأربعين ألف رجل[٧] خلا النساء والأطفال. الحق أقول لكم: إن السماء والأرض تهان[٨] بيد أن رحمته لا تهن للذين يتقونه. أغنياء العالم هم على رخائهم جياع وسيهلكون[٩]. كان غنى ازدادت[١٠] ثروته فقال: ماذا أفعل يا نفسى. إنى أهدم أهرائى لأنها صغيرة وأبنى أخرى جديدة أكبر منها فتظفرين بمناك يا نفسى. إنه لخاسر لأنه فى تلك الليلة توفى. ولقد كان يجب عليه العطف على المسكين وأن يجعل لنفسه أصدقاء من صدقات أموال الظلم فى هذا العالم لأنها تأتى بكنوز فى عالم السماء.

وقولوا لى من فضلكم: إذا وضعتم دراهمكم فى مصرف عشّار فأعطاكم عشرة أضعاف وعشرين ضعفاً أفلا تعطون رجلاً كهذا كل ما

---

(١) مت ٥: ٤. (٢) ٥: ٣. (٣) مت ٥: ٦.
(٤) مت ٥: ٦. (٥) تث ٨: ٣ ـ ١٦. (٦) تث ٨: ٤.
(٧) خر ١٢: ٣٧ وعدد ١: ٤٦ و ١١: ٢١. (٨) مر ١٣: ٣١. (٩) يع ٥: ١
(١٠) لو ٣: ١٦ ـ ٢٠.

لكم؟ ولكن الحق أقول لكم: إنكم مهما أعطيتم وتركتم لأجل محبة الله فستستردونه مئة ضعف مع الحياة الأبدية(١). فانظروا إذاً كم يجب عليكم أن تكونوا مسرورين فى خدمة الله.

ولما قال يسوع ذلك أجاب فيلبس: إننا لراغبون فى خدمة الله ولكننا نرغب أيضاً أن نعرف الله(٢). لأن إشعياء النبى قال: حقاً إنك لإله محتجب(٣). وقال الله لموسى عبده: أنا الذى هو أنا(٤). أجاب يسوع: يا فيلبس إن الله صلاح بدونه لا صلاح. إن الله موجود بدونه لا وجود. إن الله حياة بدونه لا أحياء. هو عظيم حتى أنه يملأ الجميع وهو فى كل مكان. هو وحده لا ند له. لا بداية ولا نهاية له ولكنه جعل لكل شىء بداية وسيجعل لكل شىء نهاية. لا أب ولا أم له. لا أبناء ولا إخوة ولا عشراء له. ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشى ولا يتحرك. ولكنه يدوم إلى الأبد بدون شبيه بشرى. لأنه غير ذى جسد وغير مركب وغير مادى وأبسط البسائط. وهو جواد لا يحب إلا الجود. وهو مقسط حتى إذا هو قاص أو صفح فلا مرد له.

وبالاختصار أقول لك يا فيلبس: إنه لا يمكنك أن تراه وتعرفه على الأرض تمام المعرفة. ولكنك ستراه فى مملكته إلى الأبد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا. أجاب فيلبس: ماذا تقول يا سيد؟ حقًا لقد كتب فى إشعياء أن الله أبونا(٥) فكيف لا يكون له بنون؟. أجاب يسوع: إنه فى الأنبياء مكتوب أمثال كثيرة لا يجب أن تأخذها بالحرف بل بالمعنى. لأن كل الأنبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين ألفاً الذين أرسلهم الله إلى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام. ولكن سيأتى بعدى بهاء(٦) كل الأنبياء والأطهار فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء. لأنه رسول الله.

ولما قال هذا تنهد يسوع وقال:. ارأف بإسرائيل أيها الرب الإله وانظر

---

(١) مت ١٩: ٢٩. (٢) يو ١٤: ٦.

(٣) إش ٤٥: ١٥. (٤) خر ٣: ١٤.

(٥) إش ٦٣: ١٦ و ٦٤: ٨. (٦) مز ٧: ١٣.

بشفقة على إبراهيم وعلى ذريته لكى يخدموك بإخلاص قلب. فأجاب تلاميذه: ليكن كذلك أيها الرب الإله. وقال يسوع: الحق أقول لكم: إن الكتبة والعلماء قد أبطلوا شريعة[1] الله بنبواتهم الكاذبة المخالفة لنبوات أنبياء الله الصادقين. لذلك غضب الله على بيت إسرائيل وعلى هذا الجيل القليل الإيمان. فبكى تلاميذه لهذه الكلمات وقالوا: ارحمنا يا الله[2]. ترأف على الهيكل والمدينة المقدسة ولا تدفعها إلى احتقار الأمم لكى لا يحتقروا عهدك. فأجاب يسوع: وليكن كذلك أيها الرب إله آبائنا.

وبعد أن قال يسوع هذا قال: لستم أنتم الذين اخترتمونى[3] بل أنا اخترتكم لتكونوا تلاميذى. فإذا أبغضكم العالم تكونون حقًا تلاميذى[4]. لأن العالم كان دائماً عدو عبيد خدمة الله. تذكروا الأنبياء الأطهار الذين قتلهم العالم. كما حدث فى أيام إيليا إذ قتلت إيزابل عشرة آلاف نبى حتى أنه بالجهد نجا إيليا المسكين وسبعة آلاف من أبناء الأنبياء[5] الذين خبأهم رئيس جيش أخآب. أواه من العالم الفاجر الذى لا يعرف الله. إذاً لا تخافوا أنتم[6] لأن شعور رؤوسكم محصاة كى لا تهلك. انظروا العصفور الدورى والطيور الأخرى التى لا تسقط منها ريشة بدون إرادة الله. أيعتنى الله بالطيور أكثر من اعتنائه بالإنسان الذى لأجله خلق كل شيء؟

أيتفق وجود إنسان أشد اعتناء بحذائه منه بابنه.؟ كلا ثم كلا. أفلا يجب عليكم بالأولى أن تظنوا أن الله لا يهملكم وهو المعتنى بالطيور. ولكن لماذا أتكلم عن الطيور بل لا تسقط ورقة شجرة بدون إرادة الله. صدقونى لأنى أقول لكم الحق: إن العالم يرهبكم إذا حفظتم كلامى. لأنه لو لم يخش فضيحة فجوره لما أبغضكم ولكنه يخشى فضيحته ولذلك يبغضكم ويضطهدكم. فإذا رأيتم العالم يستهين بكلامكم فلا تحزنوا بل تأملوا كيف أن الله وهو أعظم منكم قد استهان به أيضاً العالم حتى حسبت حكمته

---

(1) مر ٧: ١٣. (2) دا ٩: ١٦.
(3) يو ١٥: ١٦. (4) يو ١٥: ١٩.
(5) ١ مل ١٨: ٤ و ١٣ (6) مت ١٠: ٢٨ - ٣٠ و لو ١٢: ٥١ - ٥٧.

جهالة. فإذا كان الله يحتمل العالم بصبر فلماذا تحزنون أنتم يا تراب وطين الأرض؟ فبصبركم تملكون أنفسكم(١). فإذا لطمكم أحد على خد فحولوا له الآخر ليلطمه(٢). لا تجازوا شراً بشرٍّ(٣) لأن ذلك ما تفعله شر الحيوانات كلها. ولكن جازوا الشر بالخير وصلوا لله لأجل الذين يبغضونكم(٤). النار لا تطفأ بالنار بل بالماء لذلك أقول لكم: لا تغلبوا الشر بالشر بل بالخير(٥).

أنظروا الله الذى جعل شمسه تطلع على الصالحين والطالحين(٦) وكذلك المطر. فكذلك يجب عليكم أن تفعلوا خيراً مع الجميع لأنه مكتوب فى الناموس: كونوا قديسين لأنى أنا إلهكم قدوس(٧). كونوا أنقياء لأنى أنا نقى. وكونوا كاملين لأنى أنا كامل(٨). الحق أقول لكم: إن الخادم يحاول إرضاء سيده فلا يلبس ثوباً ينفر منه سيده. وأثوابكم هى إرادتكم ومحبتكم. احذروا إذاً من أن تريدوا أو تحبوا شيئاً غير مرضى لله ربنا. أيقنوا أن الله يبغض بهرجة وشهوات العالم لذلك أبغضوا أنتم العالم»

* * *

---

(١) لو ٢١: ١٩.
(٢) مت ٥: ٣٩.
(٣) ١ بط ٢: ٩.
(٤) مت ٥: ٤٤ و لو ٦: ٢٨.
(٥) رو ١٢: ٢١.
(٦) مت ٥: ٤٨.
(٧) لا ١٩: ٢.
(٨) مت ٥: ٤٨.

المثال الثانى:

اليهود والأمم

أولاً: نص التوراة:

أ - «يا إبراهيم اقطع غُـرلتك، وغـرلَة كل بيـتك؛ لأن هذا عـهـد بينى وبينك إلى الأبد» (تك ١٧: ١١)

ب - «النفس التى لا تختن جـسـدهـا؛ إياها أُبدّد من بين شـعـبى إلى الأبد» (تك ١٧: ١٤)

ج - «إنى كَفَرَس عندك، وإنى دائماً معك» (مز ٧٣ - ٢٢ - ٢٣)

د - «أكرم أباك لتعيش طويلاً على الأرض» (خر: ٢: ١٢)

هـ - «ليكن ملعونا الابن الذى لا يطيع أباه أو أمه» (تث ٢٧: ١٦)

و - «أخــرج من بيت أبيك وأهلك، وتعـــالى اسكن فى الأرض التى أعطيها لك ولنسلك» (تك ١٢: ١)

ز - «الضحك العاجل؛ نذير البكاء الآجل» (جا ٧: ٢ - ٣)

ح - «أنا الله أحد، ولا إله غيرى. أضرب وأشفى. أميت وأحيى، أنزل إلى الجحيم وأخرج منه. ولا يقدر أحد أن ينقذ نفسه من يدى» (تث ٣٢: ٣٩)

ثانياً: نص الإنجيل:

«وإذا بامـرأة[١] من كنعـان. مع ابنيـهـا[٢] قـد جـاءت من بلادهـا لتـرى يسـوع. فلمـا رأته آتيـاً مـع تلاميـذه صـرخت: يا يسـوع بن داود ارحـم التى يعـذبهـا الشـيطان. فلم يجب يسوع بكلمـة واحـدة لأنهم كـانوا من غيـر أهل الختـان. فـتـحنن التـلاميـذ وقـالـوا: يا مـعلم تحنن عليـهم. انظر مـا أشـد صـراخـهم وعـويلهم. فـأجـاب يسـوع: إنى لم أرسـل إلا إلى شـعب إسـرائيل. فتقدمت المرأة وابنـاهـا إلى يسـوع مـعولة قـائلة: يا يسـوع بن داود ارحـمنى. أجـاب يسـوع: لا يحسن أن يؤخذ الخبـز من أيدى الأطفـال ويطرح للكلاب.

(١) برنابا ٢١: ١٧.   (٢) مت ١٥: ٢١ - ٢٨.

وإنما قال يسوع هذا لنجاستهم لأنهم كانوا من غير أهل الختان. فأجابت المرأة: يا رب إن الكلاب تأكل الفتات الذى يسقط من مائدة أصحابها.

حينئذٍ انذهل يسوع من كلام المرأة وقال: أيتها المرأة إن إيمانك لعظيم. ثم رفع يديه إلى السماء وصلى لله ثم قال: أيتها المرأة قد حررت ابنتك فاذهبى فى طريقك بسلام. فانصرفت المرأة ولما عادت إلى بيتها وجدت ابنتها تسبح الله. لذلك قالت المرأة: حقًا لا إله إلا إله إسرائيل[1]. فانضم من ثم أقرباؤها[2] إلى الشريعة عملاً بالشريعة المسطورة فى كتاب موسى.

فسأل التلاميذ يسوع فى ذلك النهار قائلين: يا معلم لماذا أجبت المرأة بهذا الجواب قائلاً: إنهم كلاب؟ أجاب يسوع: الحق أقول لكم: إن الكلب أفضل من رجل غير مختون. فحزن التلاميذ قائلين: إن هذا الكلام لثقيل ومن يقوى على قبوله؟ أجاب يسوع: إذا لاحظتم أيها الجهال ما يفعل الكلب الذى لا عقل له لخدمة صاحبه علمتم أن كلامى صادق.

قولوا لى: أيحرس الكلب بيت صاحبه ويعرض نفسه للص؟ نعم ولكن ما جزاؤه؟ ضرب كثير وأذى مع قليل من الخبز وهو يظهر لصاحبه وجهاً مسروراً. أصحيح هذا؟ فأجاب التلاميذ: إنه لصحيح يا معلم. حينئذٍ قال يسوع: تأملوا إذاً ما أعظم ما وهب الله الإنسان فتروا إذاً ما أكفره لعدم وفائه بعهد الله مع عبده إبراهيم. اذكروا ما قاله داود[3] لشاؤل ملك إسرائيل ضد جليات الفلسطينى. قال داود: يا سيدى بينما كان يرعى عبدك قطيعه جاء ذئب ودب وأسد وانقضت على غنم عبدك. فجاء عبدك وقتلها وأنقذ الغنم. وما هذا الأغلف إلا كواحد منها. لذلك يذهب عبدك باسم الرب إله إسرائيل ليقتل هذا النجس الذى يجدف على شعب الله الطاهر.

حينئذٍ قال التلاميذ: **قل لنا يا معلم: لأى سببٍ يجب على الإنسان**

(1) ٢ مل ٥: ١٥. (2) يو ٤: ٥٣.
(3) ١ صم ١٧: ٣٤.

الختان؟ فأجاب يسوع: يكفيكم أن الله أمر به إبراهيم قائلاً[1]: يا إبراهيم اقطع غرلتك وغرلة كل بيتك لأن هذا عهد بيني وبينك إلى الأبد.

ولما قال ذلك يسوع جلس قريباً من الجبل الذي كانوا يشرفون عليه. فجاء تلاميذه إلى جانبه ليصغوا إلى كلامه. حينئذ قال يسوع: إنه لما أكل آدم الإنسان الأول الطعام الذي نهاه الله عنه في الفردوس مخدوعاً من الشيطان عصى جسده الروح[2]. فأقسم قائلاً: تا الله لأقطعنك. فكسر شظية من صخر وأمسك جسده ليقطعه بحد الشظية. فوبخه الملاك جبريل على ذلك. فأجاب: لقد أقسمت بالله أن أقطعه فلا أكون حانثاً. حينئذ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها. فكما أن جسد كل إنسان من جسد آدم وجب عليه أن يراعي كل عهد أقسم آدم ليقومن به. وحافظ آدم على فعل ذلك في أولاده. فتسلسلت سنة الختان من جيل إلى جيل.

إلا أنه لم يكن في زمن إبراهيم سوى النزر القليل من المختونين على الأرض. لأن عبادة الأوثان تكاثرت على الأرض. وعليه فقد أخبر الله إبراهيم بحقيقة الختان. وأثبت هذا العهد قائلاً: النفس[3] التي لا تختن جسدها إياها أبدد من بين شعبي إلى الأبد. فارتجف التلاميذ خوفاً من كلمات يسوع لأنه تكلم باحتدام الروح. ثم قال يسوع: دعوا الخوف للذي لم يقطع غرلته لأنه محروم من الفردوس. وإذ قال هذا تكلم يسوع أيضاً قائلاً: إن الروح في كثيرين نشيط في خدمة الله أما الجسد[4] فضعيف. فيجب على من يخاف الله أن يتأمل ما هو الجسد؟ وأين كان أصله؟ وأين مصيره؟ من طين الأرض خلق الله الجسد. وفيه نفخ نسمة الحياة[5] بنفخة فيه. فمتى اعترض الجسد خدمة الله يجب أن يمتهن ويداس كالطين. لأن من يبغض نفسه في هذا العالم يجدها في الحياة الأبدية[6].

---

(١) تك ١٧: ١١. (٢) غلا ٥: ١٧.
(٣) تك ١٧: ١٤. (٤) مت ٢٦: ٤١.
(٥) تك ٢: ٧. (٦) يو ١٢: ٢٥.

أما ماهية الجسد الآن فواضح من رغائبه أنه العدو الألد لكل صلاح فإنه وحده يتوق إلى الخطيئة. أيجب إذاً على الإنسان مرضاة لأحد أعدائه أن يترك مرضاة الله خالقه؟ تأملوا هذا. إن كل القديسيين والأنبياء كانوا أعداء جسدهم لخدمة الله. لذلك جروا بطيب خاطر إلى حتفهم. لكى لا يتعدوا شريعة الله المعطاة لموسى عبده ويخدموا الآلهة الباطلة الكاذبة. اذكروا إيليا الذى هرب جائباً قفار الجبال مقتاتاً بالعشب ومرتدياً جلد المعز. أواه. كم من يوم لم يأكل. أواه. ما أشد البرد الذى احتمله. أواه. كم من شؤبوب بلله. ولقد عانى مدة سبع سنين شظف اضطهاد تلك المرأة النجسة إيزابل. اذكروا أليشع الذى أكل خبز الشعير[1] ولبس أخشن الأثواب. الحق أقول لكم: إنهم إذ لم يخشوا أن يمتهنوا الجسد روعوا الملك والرؤساء. وكفى بهذا امتهاناً للجسد أيها القوم. وإذا نظرتم إلى القبور تعلمون ما هو الجسد.

ولما قال يسوع ذلك بكى قائلاً: الويل للذين هم خدمة أجسادهم. لأنهم حقاً لا ينالون خيراً فى الحياة الأخرى بل عذاباً لخطاياهم.

أقول لكم: إنه كان[2] نهم غنى لم يهمه سوى النهم. وكان يولم وليمة عظيمة كل يوم. وكان واقفاً على بابه فقير يدعى لعازر وهو ممتلئ قروحاً ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة النهم. ولكن لم يعطه أحد إياه بل سخر به الجميع. ولم يتحنن عليه إلا الكلاب لأنها كانت تلحس قروحه. وحدث أن مات الفقير واحتملته الملائكة إلى ذراعى إبراهيم أبينا. ومات الغنى أيضا، واحتملته الشياطين إلى ذراعى إبليس حيث عانى أشد العذاب. فرفع عينيه ورأى لعازر من بعيد على ذراعى إبراهيم. فصرخ حينئذ الغنى: يا أبتاه إبراهيم ارحمنى وابعث لعازر؛ ليحمل لى على أطراف بنانه قطرة ماء تبرد لسانى، الذى يعذب فى هذا اللهيب. فأجاب إبراهيم: يابنى اذكر أنك استوفيت طيباتك فى حياتك، ولعازر البلايا. لذلك أنت الآن

(١) ١ مل ٤: ٤٢.   (٢) لوقا ١٦: ١٩ - ٣١

في الشقاء وهو في العزاء. فصرخ الغني أيضا: يا أبتاه إبراهيم إن لي في بيت أبي ثلاثة أخوة. فأرسل إذًا لعازر ليخبرهم بما أعانيه لكي يتوبوا، ولا يأتوا إلي هنا. فأجاب إبراهيم: عندهم موسي والأنبياء فليسمعوا منهم. أجاب الغني: كلا يا أبتاه إبراهيم، بل إذا قام واحد من الأموات يصدقون. فأجاب ابراهيم: إن من لايصدق موسي ولا الأنبياء؛ لايصدق الأموات ولو قاموا..

ثم قال يسوع: كان رجل على سفر وبينما كان سائراً وجد كنزاً فى حقل(١) معروض للمبيع بخمس قطع من النقود. فلما علم الرجل ذلك ذهب تواً وباع رداءه ليشترى ذلك الحقل فهل يصدق ذلك؟ فأجاب التلاميذ: إن من لا يصدق هذا فهو مجنون. فقال عندئذ يسوع: إنكم تكونون مجانين إذا كنتم لا تعطون حواسكم لله لتشتروا نفسكم حيث يستقر كنز المحبة. لأن المحبة كنز لا نظير له. لأن من يحب الله كان الله له. ومن كان الله له؛ كان له كل شئ.

أجاب بطرس: قل لنا يا معلم كيف يجب على الإنسان أن يحب الله محبة خالصة؟ فأجاب يسوع: الحق أقول لكم: إن من لا يبغض أباه وأمه وحياته وأولاده وامرأته لأجل محبة الله(٢) فمثل هذا ليس أهلاً أن يحبه الله. أجاب بطرس: يا معلم لقد كتب فى ناموس الله فى كتاب موسى: أكرم أباك لتعيش طويلاً على الأرض(٣). ثم يقول أيضاً: ليكن ملعوناً الابن الذى لا يطيع أباه أو أمه(٤). ولذلك أمر الله بأن يرجم مثل هذا الابن العقوق أمام باب المدينة وجوباً بغضب الشعب(٥). فكيف تأمرنا أن نبغض أبانا وأمنا؟ أجاب يسوع: كل كلمة من كلماتى صادقة. لأنها ليست منى بل من الله الذى أرسلنى(٦) إلى بيت إسرائيل. لذلك أقول لكم: إن كل ما عندكم قد أنعم الله به عليكم. فأى الأمرين أعظم قيمة؟ العطية أم المعطى؟. فمتى كان أبوك أو أمك أو غيرهما عثرة لك فى خدمة الله فانبذهم كأنهم أعداء. ألم

(١) مت ١٢: ٤٤. (٢) لو ١٤: ٢٦. (٣) خر ٢٠: ١٢.
(٤) تث ٢٧: ١٦. (٥) تث ٢١: ١٨ - ٢١. (٦) يو ١٤: ٢٤.

يقل الله لإبراهيم: أخرج من بيت أبيك وأهلك[1] وتعال اسكن في الأرض التي أعطيها لك ولنسلك. ولماذا قال الله ذلك؟ أليس لأن أبا إبراهيم كان صانع تماثيل يصنع ويعبد آلهة كاذبة؟ لذلك بلغ العداء بينهما حداً أراد معه الأب أن يحرق ابنه.

أجاب بطرس: إن كلماتك صادقة. وإني **أضرع إليك أن تقص علينا كيف سخر إبراهيم من أبيه؟**

أجاب يسوع: كان إبراهيم ابن سبع سنين لما ابتدأ أن يطلب الله. فقال يوماً لأبيه: يا أبتاه من صنع الإنسان؟. أجاب الوالد الغبي: الإنسان. لأني أنا صنعتك وأبي صنعني. فأجاب إبراهيم: يا أبي ليس الأمر كذلك. لأني سمعت شيخاً ينتحب ويقول: يا إلهي لماذا لم تعطني أولاداً؟ أجاب أبوه: حقاً يا بني الله يساعد الإنسان ليصنع إنساناً ولكنه لا يضع يده فيه. فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويتضرع إلى إلهه ويقدم له حملاناً وغنماً ليساعده إلهه. أجاب إبراهيم: كم إلهاً هنالك يا أبي؟ أجاب الشيخ: لا عدد لهم يا بني. فحينئذ أجاب إبراهيم: ماذا أفعل يا أبي إذا خدمت إلهاً وأراد بي الآخر شراً لأني لا أخدمه؟ ومهما يكن من الأمر فإنه يحصل بينهما شقاق ويقع الخصام بين الآلهة. ولكن إذا قتل الإله الذي يريد بي شراً. إلهي فماذا أفعل؟ من المؤكد أنه يقتلني أنا أيضاً؟

فأجاب الشيخ ضاحكاً: لا تخف يا بني لأنه لا يخاصم إله إلهاً. كلا فإن في الهيكل الكبير ألوفاً من الآلهة مع الإله الكبير بعل. وقد بلغت الآن سبعين سنة من العمر ومع ذلك فإني لم أر قط إلهاً آخر. ومن المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إلهاً واحداً. بل يعبد واحدٌ إلهاً وآخر؛ آخر. أجاب إبراهيم: فإذاً يوجد وفاق بينهم؟ أجاب أبوه: نعم يوجد. فقال حينئذٍ إبراهيم: يا أبي أي شئ تشبه الآلهة؟ أجاب الشيخ: يا غبي إني كل يوم أصنع إلهاً أبيعه لآخرين لأشتري به خبزاً وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة؟

(١) تك ١٢: ١.

وكان فى تلك الدقيقة يصنع تمثالاً. فقال: هذا من خشب النخل وذاك من الزيتون وذلك التمثال الصغير من العاج. أنظر ما أجمله. ألا يظهر كأنه حى. حقاً لا يعوزه إلا النَّفس. أجاب إبراهيم: إذاً يا أبى ليس للآلهة أنفس فكيف يهبون الأنفاس؟ ولما لم تكن لهم حياة فكيف يعطون إذاً الحياة فمن المؤكد يا أبى أن هؤلاء ليسوا هم الله. فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلاً: لو كنت بالغاً من العمر ما تتمكن معه من الإدراك لشججت رأسك بهذه الفأس. ولكن اصمت إذ ليس لك إدراك.

أجاب إبراهيم: يا أبى إن كانت الآلهة تساعد على صنع الإنسان فكيف يتأتّى للإنسان أن يصنع آلهة؟ وإذا كانت الآلهة مصنوعة من خشب فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى. ولكن قل لى يا أبت: كيف وأنت قد صنعت آلهة هذا عددها لِم لم تساعدك الآلهة لتصنع أولاداً كثيرين فتصير أقوى رجل فى العالم؟ فحنق الأب لما سمع ابنه يتكلم هكذا. فأكمل الابن قائلاً:. يا أبت هل وجد العالم حيناً من الدهر بدون بشر؟ أجاب الشيخ: نعم ولماذا؟ قال إبراهيم: لأنى أحب أن أعرف من صنع الإله الأول. فقال الشيخ: انصرف الآن من بيتى ودعنى أصنع هذا الإله سريعاً ولا تكلمنى كلاماً. فمتى كنت جائعاً فإنك تشتهى خبزاً لا كلاماً. فقال إبراهيم: إنه لإله عظيم. فإنك تقطعه كما تريد وهو لا يدافع عن نفسه. فغضب الشيخ قائلاً: إن العالم بأسره يقول إنه إله وأنت أيها الغلام الغبى تقول كلاَّ؟ فو آلهتى لو كنت رجلاً لقتلتك. ولما قال هذا ضرب إبراهيم ورفسه وطرده من البيت

فضحك التلاميذ من حمق الشيخ ووقفوا منذهلين من فطنة إبراهيم. ولكن يسوع وبخهم قائلاً: لقد نسيتم كلام النبى القائل[1]: الضحك العاجل نذير البكاء الآجل. وأيضاً: لا تذهب إلى حيث الضحك بل اجلس حيث ينوحون. لأن هذه الحياة تنقضى فى الشقاء. ثم قال يسوع: ألا تعلمون أن الله فى زمن موسى مسخ ناساً كثيرين فى مصر حيوانات مخوفة. لأنهم ضحكوا واستهزءوا بالآخرين. احذروا من أن تضحكوا من أحدٍ مّا لأنكم

(١) جا ٧: ٢ ـ ٣.

بكاء تبكون بسببه. أجاب التلاميذ: إننا ضحكنا من حماقة الشيخ. فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: كل نظير يحب نظيره فيجد فى ذلك مسرة. ولذلك لو لم تكونوا أغبياء لما ضحكتم من الغباوة. أجابوا: ليرحمنا الله.

قال يسوع: ليكن كذلك. حينئذ قال فيلبس: يا معلم كيف حدث أن أبا إبراهيم أحب أن يحرق ابنه؟ أجاب يسوع: لما بلغ إبراهيم اثنتى عشرة سنة من العمر قال له أبوه يوماً ما: غداً عيد كل الآلهة. فلذلك سنذهب إلى الهيكل الكبير ونحمل هدية لإلهى بعل العظيم. وأنت تنتخب لنفسك إلهاً. لأنك بلغت سناً يحق لك معه اتخاذ إله. فأجاب إبراهيم بمكر: سمعاً وطاعة يا أبى. فبكرا فى الصباح إلى الهيكل قبل كل أحد. ولكن إبراهيم كان يحمل تحت صدرته فأساً مستورة. فلما دخلا الهيكل وازداد الجمع خبأ إبراهيم نفسه وراء صنم فى ناحية مظلمة فى الهيكل. فلما انصرف أبوه ظن أن إبراهيم سبقه إلى البيت ولذلك لم يمكث ليفتش عنه.

ولما انصرف كل أحد من الهيكل أقفل الكهنة الهيكل وانصرفوا. فأخذ إبراهيم إذ ذاك الفأس وقطع قوائم جميع الأصنام إلا الإله الكبير بعلاً. فإنه وضع الفأس عند قوائمه بين جذاذ التماثيل التى تساقطت قطعاً لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء. ولما كان إبراهيم خارجاً من الهيكل رآه جماعة من الناس فظنوا أنه دخل ليسرق شيئاً من الهيكل؛ فأمسكوه.

ولما بلغوا به الهيكل ورأوا آلهتهم محطمة قطعاً صرخوا منتحبين: أسرعوا يا قوم ولنقتل الذى قتل آلهتنا. فهرع إلى هناك نحو عشرة آلاف رجل مع الكهنة وسألوا إبراهيم عن السبب الذى لأجله حطم آلهتهم. أجاب إبراهيم: إنكم لأغبياء. أيقتل الإنسان الله؟ إن الذى قتلها إنما هو الإله الكبير. ألا ترون الفأس التى له عند قدميه؟ إنه لا يبتغى له أنداداً. فوصل حينئذ أبو إبراهيم الذى ذكر أحاديث إبراهيم فى آلهتهم. وعرف الفأس التى حطم بها إبراهيم الأصنام. فصرخ: إنما قتل آلهتنا ابنى الخائن هذا؛ لأن هذه الفأس فأسى. وقص عليهم كل ما جرى بينه وبين ابنه. فجمع القوم مقداراً كبيراً من الحطب. وربطوا يدى إبراهيم ورجليه. ووضعوه على

الحطب ووضعوا ناراً تحته. فإذا الله قد أمر النار بواسطة ملاكه جبريل أن لا تحرق عبده إبراهيم. فاضطرمت النار باحتدام وحرقت نحو ألفى رجل من الذين حكموا على إبراهيم بالموت. أما إبراهيم فقد وجد نفسه مطلق السراح إذ حمله ملاك الله إلى مقربة من بيت أبيه دون أن يرى من حمله. وهكذا نجا إبراهيم من الموت.

حينئذ قال فيلبس: ما أعظم هى رحمة الله للذين يحبونه. قل لنا يا معلم كيف وصل إلى معرفة الله. أجاب يسوع: لما بلغ إبراهيم جوار بيت أبيه خاف أن يدخل البيت. فانتقل إلى بعد عن البيت وجلس تحت شجرة نخل حيث لبث منفرداً. وقال: لابد من وجود إله ذى حياة وقوة أكثر من الإنسان لأنه يصنع الإنسان. والإنسان بدون الله لا يقدر أن يصنع الإنسان.

حينئذ التفت حوله **وأجال نظره فى النجوم والقمر والشمس فظن أنها هى الله**. ولكن بعد التبصر فى تغيراتها وحركاتها قال: يجب أن لا تطرأ على الله الحركة ولا تحجبه الغيوم وإلا فنى الناس. وبينما هو متحير سمع اسمه ينادى: ياإبراهيم. فلما التفت ولم ير أحداً فى جهة قال: إنى قد سمعت: يا إبراهيم. ثم سمع كذلك اسمه ينادى مرتين أخريين: يا إبراهيم. فأجاب: من ينادى؟ حينئذ سمع قائلاً يقول: إنه أنا ملاك الله جبريل. فارتاع إبراهيم:. ولكن الملاك سكن روعه قائلاً: لا تخف يا إبراهيم لأنك خليل الله. فإنك لما حطمت آلهة الناس تحطيماً؛ اصطفاك إله الملائكة والأنبياء حتى أنك كتبت فى سفر الحياة[1]. حينئذ قال إبراهيم: ماذا يجب على أن أفعل لأعبد إله الملائكة والأنبياء الأطهار؟ فأجاب الملاك: اذهب إلى ذلك الينبوع واغتسل. لأن الله يريد أن يكلمك. أجاب إبراهيم: وكيف ينبغى أن اغتسل؟ فتبدى له حينئذ الملاك يافعاً جميلاً واغتسل من الينبوع قائلاً: افعل كذلك بنفسك يا إبراهيم. فلما اغتسل إبراهيم قال الملاك: ارتق ذلك الجبل لأن الله يريد أن يكلمك هناك.

فارتقى إبراهيم الجبل كما قال له الملاك. ولما جثا على ركبتيه قال لنفسه: متى يا ترى يكلمنى إله الملائكة؟ فسمع صوتاً لطيفاً يناديه: يا

(١) فى ٤: ٣.

إبراهيم. فأجابه إبراهيم: من ينادى؟ فأجاب الصوت: أنا إلهك يا إبراهيم. أما إبراهيم فارتاع وعفر بوجهه الأرض قائلاً: كيف يصغى عبدك إليك وهو تراب ورماد[1]؟ حينئذ قال الله: لا تخف بل انهض لأنى قد اصطفيتك عبداً لى وإنى أريد أن أباركك وأجعلك شعباً عظيماً. فاخرج إذاً من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن فى الأرض التى أعطيكها أنت ونسلك[2]. فأجاب إبراهيم: إنى لفاعل كل ذلك يا رب ولكن احرسنى لكيلا يضرنى إله آخر. فتكلم الله قائلاً: أنا الله أحد. ولا إله غيرى. أضرب وأشفى. أميت وأحيى. أنزل إلى الجحيم وأخرج منه. ولا يقدر أحدٌ أن ينقذ نفسه من يدى[3]. ثم أعطاه الله عهد الختان. وهكذا عرف الله أبونا إبراهيم. ولما قال يسوع هذا رفع يديه قائلاً: الكرامة والمجد لك يا الله. ليكن كذلك»

* * *

المثال الثالث:

من هو القريب؟

أولاً: نص التوراة:

ا ـ «أحب الرب إلهك. وقريبك. أحب إلهك فوق كل شىء بكل قلبك وعقلك»، و ـ «قريبك كنفسك» (تث ٦: ٤ ـ ٥ لا ١٩: ١٨)

ثانياً: نص الإنجيل:

«وذهب[4] يسوع إلى أورشليم قرب عيد المظال وهو أحد أعياد أمتنا. فلما علم هذا الكتبة والفريسيون تشاوروا ليتسقطوه بكلامه[5]. فلذلك جاء إليه فقيه قائلا[6]: يا معلم ماذا يجب أن أفعل لأحصل على الحياة الأبدية؟ أجاب يسوع: كيف كتب فى الناموس؟ أجاب قائلاً: أحب الرب إلهك وقريبك. أحب إلهك فوق كل شىء بكل قلبك وعقلك. وقريبك كنفسك. أجاب يسوع: أجبت حسناً. وإنى أقول لك: اذهب وافعل هكذا تكن لك الحياة الأبدية.

(١) تك ١٨: ٢٧. (٢) تك ١٢: ١ ـ ٢. (٣) تث ٣٢: ٣٩.

(٤) برنابا ٣٠: ١. (٥) مت ٢٢: ١٥. (٦) لو ١٠: ٢٥ ـ ٢٧.

فقال له: من هو قريبى؟ أجاب يسوع رافعاً طرفه: كان رجل نازلاً من أورشليم ليذهب إلى أريحا. مدينة أعيد بناؤها تحت اللعنة(1). فأمسك اللصوص هذا الرجل على الطريق وجرحوه وعروه. ثم انصرفوا وتركوه مشرفاً على الموت. فاتفق أن مر كاهن بذلك الموضع. فلما رأى الجريح سار دون أن يحييه. ومر مثله لاوى دون أن يقول كلمة. واتفق أن مر أيضاً سامرى. فلما رأى الجريح عطف عليه وترجل عن فرسه وأخذ الجريح وغسل جراحه بخمر ودهنها بدهن. وبعد أن ضمد جراحه وعزاه؛ أركبه على فرسه. ولما بلغ فى المساء النزل سلمه إلى عناية صاحبه. ولما نهض صباحاً قال: اعتن بهذا الرجل وأنا أدفع لك كل شىء. وبعد أن قدم أربع قطع من الذهب للعليل لأجل صاحب النزل قال: تعز لأنى أعود سريعاً وأذهب بك إلى بيتى. قال يسوع: قل لى: أيهما كان القريب؟ أجاب الفقيه: الذى أظهر الرحمة. حينئذٍ قال يسوع: قد أجبت بالصواب. فاذهب وافعل كذلك. فانصرف الفقيه بالخيبة»

* * *

(1) يش ٦: ٢٦ و ١ مل ١٦: ٣٤.

المثال الرابع:

السنة النبوية

أولاً: نص التوراة:

أ ـ «إن هذا الشعب يعبدنى باطلا؛ لأنهم أبطلوا شريعتى التى أعطاهم إياها عبدى موسى، ويتّبعون تقاليد شيوخهم» (إش ٢٩: ١٣ ـ ١٤)

ب ـ «لا تصنع لك تمثالاً مما فى السماء، ولا مما تحت السماء، ولا تصنعه مما فوق الأرض، ولا مما تحت الأرض، ولا مما فوق الماء ولا مما تحت الماء...» (خر ٢٠: ٤ ـ ٦ وتث ٥: ٨ ـ ٩)

ثانياً: نص الإنجيل:

«ودعا[١] أحد المتضلعين من الشريعة يسوع للعشاء[٢] ليجربه. فجاء يسوع إلى هناك مع تلاميذه. وكثيرون من الكتبة انتظروه فى البيت ليجربوه. فجلس التلاميذ إلى المائدة دون أن يغسلوا أيديهم. فدعا الكتبة يسوع قائلين: لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزاً؟ أجاب يسوع: وأنا أسألكم: لأى سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم؟ تقولون لأولاد الآباء الفقراء: قدموا وأنذروا نذوراً للهيكل. وهم يجعلون نذوراً من النزر الذى يجب أن يعولوا به آباءهم. وإذا أحب آباؤهم أن يأخذوا نقوداً يصرخ الأبناء: إن هذه النقود نذر لله. فيصيب الآباء بسبب ذلك ضيق. أيها الكتبة الكذابون المراؤون أيستعمل الله هذه النقود؟ كلا ثم كلا. لأن الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبى[٣]: هل آكل لحم الثيران وأشرب دم الغنم؟ أعطنى ذبيحة الحمد وقدم لى نذورك. لأنى إن جعت لا أطلب منك شيئاً لأن كل الأشياء فى يدى وعندى وفرة الجنة. أيها المراءون إنكم إنما تفعلون ذلك لتملأوا كيسكم ولذلك تعشرون السذاب والنعنع. ما أشقاكم لأنكم تظهرون للآخرين أشد

(١) برنابا ٣٢: ١. (٢) مت ١٥: ٢ ـ ٦ و لو ١١: ٣٧ ـ ٤٦ و ١٤: ١.

(٣) مز ١: ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤.

الطرق وضوحاً ولا تسيرون فيها.

أيها الكتبة والفقهاء إنكم تضعون على عواتق الآخرين أحمالاً لا يطاق حملها. ولكنكم أنفسكم لا تحركونها بإحدى أصابعكم. الحق أقول لكم: إن كل شر إنما دخل العالم بوسيلة الشيوخ. قولوا لى: من أدخل عبادة الأصنام فى العالم إلا طريقة الشيوخ. إنه كان ملك أحب أباه كثيراً وكان اسمه بعلا. فلما مات الأب أمر ابنه بصنع تمثال شبه أبيه تعزية لنفسه. ونصبه فى سوق المدينة. وأمر بأن يكون كل من اقترب من ذلك التمثال إلى مسافة خمسة عشر ذراعاً فى مأمن لا يلحق أحد به أذى على الإطلاق. وعليه أخذ الأشرار بسبب الفوائد التى جنوها من التمثال يقدمون له ورداً وزهوراً. ثم تحولت هذه الهدايا فى زمن قصير إلى نقود وطعام حتى سموه إلها تكريما له. وهذا الشئ تحول من عادة إلى شريعة حتى أن الصنم بعلا انتشر فى العالم كله. وقد ندب الله هذا[1] بواسطة إشعياء قائلاً: حقاً إن هذا الشعب يعبدنى باطلاً. لأنهم أبطلوا شريعتى التى أعطاهم إياها عبدى موسى ويتبعون تقاليد شيوخهم.

الحق أقول لكم: إن أكل الخبز بأيدٍ غير نظيفة لا ينجس إنساناً لأن ما يدخل الإنسان لا ينجس الإنسان بل الذى يخرج من الإنسان ينجس الإنسان. فقال حينئذٍ أحد الكتبة: إن أكلت لحم الخنزير أو لحوماً أخرى نجسة أفلا تنجس هذه ضميرى؟ أجاب يسوع: إن العصيان لا يدخل الإنسان بل يخرج من الإنسان من قلبه. ولذلك يكون نجساً متى أكل طعاماً محرماً. حينئذٍ قال أحد الفقهاء: يا معلم لقد تكلمت كثيراً فى عبادة الأصنام كأن عند شعب إسرائيل أصناماً. وعليه فقد أسأت إلينا. أجاب يسوع: أعلم جيداً أنه لا يوجد اليوم تماثيل من خشب فى إسرائيل ولكن توجد تماثيل من جسد. فأجاب حينئذٍ جميع الكتبة بحنق: أنحن إذاً عبدة أصنام؟ أجاب يسوع: الحق أقول لكم: لا تقول الشريعة[2] أعبد بل أحب الرب إلهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك. ثم قال يسوع: أصحيح هذا؟

(١) مت ١٥: ٧ - ٢٠. (٢) تث ٦: ٥.

فأجاب كل واحد: إنه لصحيح.

ثم قال يسوع: حقاً إن كل ما يحبه الإنسان ويترك لأجله كل شيء سواه فهو إلهه. وهكذا فإن صنم الزانى هو الزانية. وصنم النهم والسكير جسده. وصنم الطماع الفضة والذهب. وقس عليه كل خاطئ آخر. فقال حينئذ الذى دعاه: يا معلم ما هى أعظم خطيئة؟ أجاب يسوع: أى الخراب أعظم فى البيت؟ فسكت كل أحد. ثم أشار يسوع بأصبعه إلى الأساس وقال: إذا تزعزع الأساس سقط البيت خراباً. فيلزم إذ ذاك أن يبنى جديداً. ولكن إذا تداعى أى جزء سواه يمكن ترميمه.

ولذلك أقول لكم: إن عبادة الأصنام هى أعظم خطيئة. لأنها تجرد الإنسان بالمرة من الإيمان. فتجرده من الله بحيث لا تكون له محبة روحية. ولكن كل خطيئة. فوقف الجميع مبهوتين من حديث يسوع لأنهم علموا أنه لا يمكن الرد عليه مطلقاً. ثم أتم يسوع: تذكروا ما تكلم الله به وما كتبه موسى ويشوع فى الناموس فتعلموا ما أعظم هذه الخطيئة. قال الله مخاطباً إسرائيل: لا تصنع[1] لك تمثالاً مما فى السماء ولا مما تحت السماء. ولا تصنعه مما فوق الأرض ولا مما تحت الأرض. ولا مما فوق الماء ولا مما تحت الماء. إنى أنا إلهك قوى وغيور[2] ينتقم لهذه الخطيئة من الآباء وأبنائهم حتى الجيل الرابع. فاذكروا كيف[3] لما صنع آباؤنا العجل وعبدوه؛ أخذ يشوع وسبط لاوى السيف بأمر الله وقتلوا مئة ألف وعشرين ألفاً[4] من أولئك الذين لم يطلبوا رحمة من الله. ما أشد دينونة الله على عبدة الأوثان»

* * *

(١) خر ٢٠: ٤ ـ ٦ وتث ٥: ٨ و ٩.

(٢) خر ٢٠: ٥.

(٣) خروج ٣٢ : ٤ ـ ٦ و ٢٧ و ٢٨

(٤) خروج ٣٢ : ٢٨

المثال الخامس:

التواضع والكبرياء

أولاً: نص التوراة:

أ - «كيف سقطت من السماء يا كوكب الصبح. يا من كنت جمال الملائكة، وأشرقت كالفجر. حقاً إن كبرياءك قد أسقطك للأرض» (إش ١٤: ١٢)

ب - «قال الجاهل فى قلبه: ليس إله. لذلك كانوا فاسدين، وأمسوا رجسا دون أن يكون فيهم واحد يفعل صلاحا» (مز ١٤: ١)

ج - «يا عبدى أعطنى قلبك» (أم ٢٣: ٢٦)

د - «اغتسلوا وكونوا أنقياء. أبعدوا أفكاركم عن عينى» (إش ١: ١٦)

ثانياً: نص الإنجيل:

«ثم(١) قال بعد ذلك يسوع(٢): متى دعيت فاذكر أن لا تضع نفسك فى الموضع الأعلى. حتى إن جاء صديق لصاحب البيت أعظم منك لا يقول لك صاحب البيت: قم واجلس أسفل فيكون باعثاً لك على الخجل. بل اذهب واجلس فى أحقر موضع ليجئ الذى دعاك ويقول: قم يا صديق واجلس هنا فى الأعلى فيكون لك حينئذٍ فخر عظيم. لأن من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع. الحق أقول لكم: إن الشيطان لم يخذل إلا بخطيئة الكبرياء. كما يقول النبى إشعياء موبخاً إياه بهذه الكلمات: كيف سقطت من السماء يا كوكب الصبح يا من كنت جمال الملائكة وأشرقت كالفجر. حقاً إن كبرياءك قد أسقطك الأرض(٣).

الحق أقول لكم: إذا عرف إنسان شقاءه فإنه يبكى هنا على الأرض دائماً. ويحسب نفسه أحقر من كل شىء آخر. ولا سبب وراء هذا البكاء إلا

---

(١) برنابا: ٣٤: ٧ + (٢) لوقا: ١٤: ٧ - ١١
(٣) إش: ١٤: ١٢

الإنسان الأول وامرأته فإنهما بكيا مئة سنة بدون انقطاع طالبين رحمة من الله. لأنهما علما يقينا أين سقطا بكبريائهما. ولما قال يسوع هذا؛ شكر الله. وذاع ذلك اليوم فى أورشليم الأشياء العظيمة التى قالها يسوع والآية التى صنعها. فشكر الشعب الله مباركين اسمه القدوس. أما الكتبة والكهنة فلما أدركوا أنه ندد بتقاليد الشيوخ اضطرموا ببغضاء أشد. وقسوا قلوبهم نظير فرعون(1). ولذلك طلبوا فرصة ليقتلوه ولكنهم لم يجدوها.

وانصرف يسوع من أورشليم. وذهب إلى البرية وراء الأردن. فقال تلاميذه الذين كانوا جالسين حوله: **يا معلم قل لنا كيف سقط الشيطان بكبريائه. لأننا كنا نعلم أنه سقط بسبب العصيان**. ولأنه كان دائماً يفتن الإنسان ليفعل شراً؟ أجاب يسوع: لما خلق الله كتلة من التراب. وتركها خمساً وعشرين ألف سنة بدون أن يفعل شيئاً آخر. فعلم الشيطان الذى كان بمثابة كاهن ورئيس للملائكة لما كان عليه من الإدراك العظيم أن الله سيأخذ من تلك الكتلة مئة وأربعة وأربعين ألفاً موسومين بسمة النبوة ورسول الله الذى خلق الله روحه قبل كل شىء آخر بستين ألف سنة. ولذلك غضب الشيطان فأغرى الملائكة قائلاً: انظروا. سيريد الله يوماً ما أن نسجد لهذا التراب. وعليه فتبصروا فى أننا روح وأنه لا يليق أن نفعل ذلك. لذلك ترك الله كثيرون.

ومن ثم قال الله يوماً لما التأمت الملائكة كلهم: ليسجد توا كل من اتخذنى رباً لهذا التراب. فسجد له الذين أحبوا الله. أما الشيطان والذين كانوا على شاكلته فقالوا: يا رب إننا روح ولذلك ليس من العدل أن نسجد لهذه الطينة. ولما قال الشيطان ذلك أصبح هائلاً ومخوف المنظر. وأصبح أتباعه مقبوحين. لأن الله أزال بسبب عصيانهم الجمال الذى جملهم به لما خلقهم. فلما رفع الملائكة الأطهار رءوسهم رأوا شدة قبح الهولة التى تحول الشيطان إليها. وخر أتباعه على وجوههم إلى الأرض خائفين. حينئذٍ قال

(1) خروج ٧ : ١٣ +

الشيطان: يا رب إنك جعلتنى قبيحاً ظلماً ولكننى راض بذلك لأنى أروم أن أبطل كل ما فعلت. وقال الشياطين الآخرون: لا تدعه رباً يا كوكب الصبح لأنك أنت الرب. حينئذٍ قال الله لأتباع الشيطان: توبوا واعترفوا بأننى أنا الله خالقكم. أجابوا: إننا نتوب عن سجودنا لك لأنك غير عادل. ولكن الشيطان عادل وبرئ وهو ربنا. حينئذٍ قال الله: انصرفوا عنى أيها الملاعين لأنه ليس عندى رحمة لكم. وبصق الشيطان أثناء انصرافه على كتلة التراب. فرفع جبريل ذلك البصاق مع شىء من التراب فكان للإنسان بسبب ذلك سرة فى بطنه.

فدهش التلاميذ دهشاً عظيماً لعصيان الملائكة. حينئذٍ قال يسوع: الحق أقول لكم: إن من لا يصلى فهو شر من الشيطان. وسيحل به عذاب أعظم. لأنه لم يكن للشيطان قبل سقوطه عبرة فى الخوف. ولم يرسل الله له رسولاً يدعوه إلى التوبة. ولكن الإنسان. **وقد جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذى سيأتى بعدى لأن** الله يريد ذلك حتى أهيئ طريقه. يعيش بإهمال بدون أدنى خوف كأنه لا يوجد إله مع أن له أمثلة لا عداد لها على عدل الله. فعن مثل هؤلاء قال داود النبى:. قال الجاهل فى قلبه: ليس إله. لذلك كانوا فاسدين وأمسوا رجساً دون أن يكون فيهم واحد يفعل صلاحاً[1].

صلوا بدون انقطاع[2] يا تلاميذى لتعطوا. لأن من يطلب يجد. ومن يقرع يفتح له. ومن يسأل يعط. ولا تنظروا فى صلواتكم إلى كثرة الكلام[3]. لأن الله ينظر إلى القلب[4] كما قال سليمان[5]: يا عبدى أعطنى قلبك. لحق أقول لكم: لعمر الله إن المرائين[6] يصلون كثيراً فى كل أنحاء المدينة لينظرهم الجمهور ويعدهم قديسين. ولكن قلوبهم ممتلئة شراً. فهم ليسوا على جد فى ما يطلبون. فمن الضرورى أن تكون مخلصاً فى صلاتك إذا أحببت أن يقبلها الله. فقولوا لى: من يذهب ليكلم الحاكم الرومانى أو

(١) مزمور ١٤: ١. (٢) مت ٧: ٧ - ٨. (٣) مت ٦: ٧.
(٤) صموئيل الأول ١٦: ٧. (٥) أمثال ٢٣: ٢٦. (٦) مت ٦: ٥.

هيرودس ولا يكون قصده موجهاً إلى من هو ذاهب إليه وإلى ما هو عازم أن يطلبه منه؟ لا أحد مطلقاً. فإذا كان الإنسان يفعل كذلك ليكلم رجلاً فماذا على الإنسان أن يفعل ليكلم الله. ويطلب منه رحمة لخطاياه شاكراً إياه على كل ما أعطاه

الحق أقول لكم: إن الذين يقيمون الصلاة قليلون. ولذلك كان للشيطان تسلط عليهم. لأن الله لا يحب أولئك الذين يكرمونه بشفاههم. الذين يطلبون فى الهيكل رحمة بشفاههم. ولكن قلوبهم تستصرخ العدل. كما تكلم إشعياء النبى قائلا: أبعد هذا الشعب الثقيل على. لأنهم يحترموننى بشفاههم أما قلبهم فمبتعد عنى[1]. الحق أقول لكم: إن الذى يذهب ليصلى بدون تدبر يستهزئ بالله. من يذهب ليكلم هيرودس ويوليه ظهره، ويمدح أمامه بيلاطس الحاكم الذى يكرهه حتى الموت؟ لا أحد مطلقاً. ولكن الإنسان الذى يذهب ليصلى ولا يعدّ نفسه لا يكون فعله دون هذا. فإنه يولى لله ظهره والشيطان وجهه. لأن فى قلبه محبة الإثم التى لم يتب عنها. فإذا أساء إليك أحد وقال لك بشفتيه: اغفر لى وضربك ضربة بيديه فكيف تغفر له؟ هكذا يرحم الله الذين يقولون بشفاههم: يا رب ارحمنا. ويحبون بقلوبهم الإثم ويهمون بخطايا جديدة.

فبكى التلاميذ لكلام يسوع. وتضرعوا إليه قائلين: يا سيد علمنا لنصلى[2]. أجاب يسوع: تأملوا ماذا تفعلون إذا ألقى القبض عليكم الحاكم الرومانى ليعدمكم. فافعلوا نظير ذلك حينما تصلون. وليكن كلامكم هذا[3]:. أيها الرب إلهنا. ليتقدس اسمك القدوس. ليأت ملكوتك فينا. لتنفذ مشيئتك دائماً. وكما هى نافذة فى السماء لتكن نافذة كذلك على الأرض. أعطنا الخبز لكل يوم. واغفر لنا خطايانا. كما نغفر نحن لمن يخطئون إلينا. ولا تسمح بدخولنا فى التجارب. ولكن نجنا من الشرير. لأنك أنت وحدك إلهنا الذى يجب له المجد والإكرام إلى الأبد.

(١) إشعياء ٢٩: ١٣ و ١ : ١٤. (٢) لوقا ١١: ١. (٣) مت ٦: ٩. ١٣.

حينئذٍ أجاب يوحنا: **يا معلم لنغتسل كما أمر الله على لسان موسى.** قال يسوع: أتظنون[1] أنى جئت لأبطل الشريعة والأنبياء؟ الحق أقول لكم: لعمر الله إنى لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها. لأن كل نبى حفظ شريعة الله وكل ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين. لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته لا يمكن أن يكون مرضياً لله من يخالف أقل وصاياه. ولكنه يكون الأصغر فى ملكوت الله. بل لا يكون له نصيب هناك. وأقول لكم أيضاً: إنه لا يمكن مخالفة حرفٍ واحدٍ من شريعة الله إلا باجتراح أكبر الآثام. ولكنى أحب أن تفقهوا أنه ضرورى أن تحافظوا على هذه الكلمات التى قالها الله على لسان إشعياء[2] النبى: اغتسلوا وكونوا أنقياء. أبعدوا أفكاركم عن عينى.

الحق أقول لكم: إن ماء البحر كله لا يغسل من يحب الآثام بقلبه. وأقول لكم أيضاً: إنه لا يقدم أحد صلاة مرضية لله إن لم يغتسل. ولكنه يحمل نفسه خطيئة شبيهة بعبادة الأوثان. صدقونى بالحق: أنه إذا صلى إنسان لله كما يجب ينال كل ما يطلب. اذكروا موسى عبد الله الذى ضرب بصلاته مصر وشق البحر الأحمر وأغرق هناك فرعون وجيشه[3]. اذكروا يشوع الذى أوقف الشمس[4]. وصموئيل الذى أوقع الرعب فى جيش الفلسطينيين[5] الذى لا يحصى. وإيليا الذى أمطر ناراً من السماء[6]. وأقام أليشع[7] ميتاً. وكثيرون غيرهم من الأنبياء الأطهار الذين بواسطة الصلاة نالوا كل ما طلبوا. ولكن هؤلاء الناس لم يطلبوا فى الحقيقة شيئاً لهم أنفسهم. بل إنما طلبوا الله ومجده

* * *

(١) متى ٥ : ١٧ ـ ١٩
(٢) إشعياء ١ : ١٦
(٣) خر ١٤ : ١٥
(٤) يش ١٠ : ١٢
(٥) ١ صم ٧ : ٥
(٦) ١ مل ١٨ : ٢٦
(٧) ٢ مل ١٨ : ٣٦

المثال السادس:

وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين

أولاً: نص التوراة:

أ ـ «أنظر. فإنى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما؛ هكذا سيفعل نسلك» (تك ٢٢: ١٥ ـ ١٨)

ب ـ «قال الله لربى: اجلس عن يمينى؛ حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك يُرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك» (مز ١١٠: ١ ـ ٢)

إلى آخر النصوص المذكورة فى التفسير.

ثانياً: نص الإنجيل:

«حينئذ[1] قال أندراوس: لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مَسيًا فتكرم بالتصريح لنا بكل شىء. فأجاب يسوع: كل من يعمل فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء. لذلك أقول لكم: إن الله لما كان بالحقيقة كاملاً لم يكن له حاجة إلى غناء. لأن الغناء عنده نفسه. وهكذا لما أراد أن يعمل؛ خلق قبل كل شىء نفْس رسوله الذى لأجله قصد إلى خلق الكل. لكى تجد الخلائق فرحا وبركة بالله. ويسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيداً. ولماذا؟ وهل كان هذا هكذا إلا لأن الله أراد ذلك؟ الحق أقول لكم: إن كل نبى متى جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله. ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده. فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه. وسيأتى بقوة على الظالمين. ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان. لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: انظر فإنى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً هكذا سيفعل نسلك.

---

(١) برنابا ٤٣ : ٥ +

أجاب يعقوب: يا معلم قل لنا بمن صنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون بإسحق. والإسماعيليون يقولون بإسماعيل. أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ أجاب يعقوب: من إسحق لأن إسحق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا الذى من ذريته داود. فحينئذٍ[1] قال يسوع: ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون؟ أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم. لأن داود يدعوه فى الروح رباً قائلاً هكذا[2]: قال الله لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعدائك فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مسيا ابن داود فكيف يسميه داود رباً؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحق.

حينئذٍ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب فى كتاب موسى: أن العهد صنع بإسحق[3]. أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب. ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع. بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا. لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله. حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله. فكلم الله حينئذٍ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك[4] بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين[5]؟

فقال حينئذٍ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلى. لذلك قل لنا أنت الحق لأننا نعلم أنك مرسل من الله. فأجاب حينئذٍ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه

(١) مت ٢٢ : ٤١ ـ ٤٥ (٢) مز ١١٠ : ١ ـ ٢
(٣) رد ٩ : ٧ وغلا ٤ : ٢٣ و ٢٨ وتك ١٧: ٢١
(٤) تك ٢٢ : ٢ (٥) تك ١٧ : ٢٥

والمراؤون وصانعو الشر كل شيء اليوم. الأولون بالتعليم الكاذب والآخرون بمعيشة الخلاعة. حتى لا يكاد يوجد الحق تقريباً. ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذاباً فى الجحيم. لذلك أقول لكم: إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريباً. لأنه مزدان[1] بروح الفهم والمشورة. روح الحكمة والقوة. روح الخوف والمحبة. روح التبصر والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة. روح العدل والتقوى. روح اللطف والصبر التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه. ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم. صدقونى أنى رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبى. لأن الله يعطيهم روحه نبوة. ولما رأيته امتلأت عزاءً قائلاً: يا محمد ليكن الله معك وليجعلنى أهلاً أن أحل سير حذائك. لأنى إذا قلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله. ولما قال يسوع هذا؛ شكر الله»

* * *

(١) إش ١١ : ٢

المثال السابع:

الرياء

أولاً: نص التوراة:

أ ـ «لا تثقوا بالرؤساء، ولا بأبناء الناس، الذين ليس بهم خلاص؛ لأنه عند الموت تهلك أفكارهم، بل قبل الموت يرون أنفسهم محرومين من الجزاء» (مز ١٤٦: ٣ ـ ٤)

إلى آخر النصوص المذكورة فى التفسير.

ثانياً: نص الإنجيل:

«فانصرف[١] يسوع وصعد إلى أورشليم. ودخل يوم السبت الهيكل وابتدأ يعلم الشعب. فأسرع الشعب إلى الهيكل مع رئيس الكهنة والكهنة الذين اقتربوا من يسوع قائلين: يا معلم قيل لنا إنك تقول سوءاً عن المرائين فإذا كنتم مرائين فإنى أتكلم عنكم. فقالوا: من المرائى؟ قل لنا صريحاً. قال يسوع: الحق أقول لكم: إن كل من يفعل حسنا لكى يراه الناس فهو مرائى. لأن عمله لا ينفذ إلى القلب الذى لا يراه الناس فيترك فيه كل فكر نجس وكل شهوة قذرة. أتعلمون من هو المرائى؟ هو الذى يعبد بلسانه الله ويعبد بقلبه الناس. إنه بغى لأنه متى مات يخسر كل جزاء. لأن فى هذا الموضوع يقول النبى داود[٢]: لا تثقوا بالرؤساء ولا بأبناء الناس الذين ليس بهم خلاص لأنه عند الموت تهلك أفكارهم. بل قبل الموت يرون أنفسهم محرومين من الجزاء. لأن الإنسان ـ كما قال أيوب[٣] نبى الله ـ غير ثابت فلا يستقر على حال. فإذا مدحك اليوم ذمك غداً. وإذا أراد أن يجزيك اليوم سلبك غداً.

ويل إذاً للمرائين لأن جزاءهم باطل. لعمر الله الذى أقف فى حضرته إن المرائى لص. ويرتكب التجديف لأنه يتذرع بالشريعة ليظهر صالحاً. ويختلس مجد الله الذى له وحده الحمد والمجد إلى الأبد. ثم أقول لكم أيضاً: إنه ليس للمرائى إيمان. لأنه لو آمن بأن الله يرى كل شىء وأنه يقاص الإثم بدينونة مخوفة لكان ينقى قلبه الذى يبقيه ممتلئاً بالإثم لأنه لا إيمان له. الحق أقول لكم أيضاً: إن المرائى كقبر[٤] أبيض من الخارج. ولكنه مملوء فساداً وديداناً.

(١) برنابا ٤٥: ٢ ـ. (٢) مز ١٤٦: ٣ ـ ٤. (٣) أى ١٤: ٢. (٤) مت ٢٣: ٢٧.

فإذا كنتم أيها الكهنة تعبدون الله لأن الله خلقكم ويطلب ذلك منكم فلا أندد بكم لأنكم خدمة الله. ولكن إذا كنتم تفعلون كل شئ لأجل الربح. وتبيعون وتشترون فى الهيكل كما فى السوق. غير حاسبين أن هيكل الله بيت للصلاة لا للتجارة[1] وأنتم تحولونه مغارة لصوص[2]. وإذا كنتم تفعلون كل شىء لترضوا الناس. وأخرجتم الله من عقلكم. فإنى أصيح بكم: أنكم أبناء الشيطان. لا أبناء إبراهيم[3] الذى ترك بيت أبيه حباً فى الله. وكان راضياً أن يذبح ابنه. ويل لكم أيها الكهنة والفقهاء إذا كنتم هكذا لأن الله يأخذ منكم الكهنوت.

وتكلم يسوع أيضاً قائلاً[4]: أضرب لكم مثلاً:. غرس رب بيت كرماً وجعل له سياجاً لكى لا تدوسه الحيوانات. وبنى وسطه معصرة للخمر. وأجره للكرامين. ولما حان الوقت ليجمع الخمر أرسل عبيده. فلما رآهم الكرامون رجموا بعضاً وأحرقوا بعضاً وبقروا الآخرين بمدية. وفعلوا هذا مراراً عديدة. فقولوا لى: ماذا يفعل صاحب الكرم بالكرامين؟. فأجاب كل واحد: إنه ليهلكهم شر هلكة ويسلم الكرم لكرامين آخرين.

لذلك قال يسوع: ألا تعلمون أن الكرم هو بيت إسرائيل والكرامين شعب يهوذا وأورشليم[5].؟ ويل لكم لأن الله غاضب عليكم. لأنكم بقرتم كثيرين من أنبياء الله حتى أنه لم يوجد فى زمن أخآب واحد يدفن قديسى الله. ولما قال هذا أراد رؤساء الكهنة أن يمسكوه لكنهم خافوا العامة[6] الذين عظموه. ثم رأى يسوع امرأة[7] كان رأسها منحنياً نحو الأرض منذ ولادتها. فقال: ارفعى رأسك أيتها المرأة باسم إلهنا ليعرف هؤلاء أنى أقول الحق وأنه يريد أن أذيعه. فاستقامت حينئذ المرأة صحيحة معظمة لله.

فصرخ رؤساء الكهنة قائلين: ليس هذا الإنسان مرسلاً من الله. لأنه لا يحفظ السبت إذ قد أبرأ اليوم مريضاً. أجاب يسوع: ألا فقولوا لى: ألا يحل التكلم فى يوم السبت وتقديم الصلاة لخلاص الآخرين؟ ومن منكم إذا سقط حماره يوم السبت فى حفرة[8] لا ينتشله يوم السبت؟ لا أحد مطلقاً. فهل أكون قد كسرت يوم السبت بإبراء ابنة من بنى إسرائيل؟ حقاً إنه قد علم هنا رياؤكم.

---

(١) يو ٢: ١٦ ومز ٦٩: ١٠. (٢) مت ٢١: ١٣ و إش ٥٦: ٦ و إر ٧: ١١.

(٣) يو ٨: ٣٣ ـ ٣٤. (٤) مت ٢١: ٢٢ ـ ٤١. (٥) إش ٥: ٩٧.

(٦) مت ٢١: ٤٦. (٧) مت ١٣: ١٠ ـ ١٦. (٨) مت ١٢: ١١.

كم من حاضر هنا ممن يحذرون أن يصيب عين غيرهم قذى[1] والجذع يوشك أن يشج رؤوسهم؟ ما أكثر الذين يخشون النملة ولكنهم لا يبالون بالفيل. ولما قال هذه خرج من الهيكل. ولكن الكهنة احتدموا غيظاً فيما بينهم . لأنهم لم يقدروا أن يمسكوه وينالوا منه مأرباً كما فعل آباؤهم فى قدوس الله»

* * *

المثال الثامن:

العدل أساس الملك

ملاحظة:

اعتماداً على معرفة تلاميذ المسيح لنصوص الزبور؛ كان المسيح يذكر جملة منه. ومن هذه الجملة يعرفون المزمور المطلوب تفسيره. وفى المزمور الخامس والسبعين يقول داود عليه السلام: «متى وجدت وقتا أقضى بالعدل» وهذه الجملة قد نطقها المسيح، مع جمل أخرى من بعض المزامير. وفسر الجمل كلها. وفى أثناء التفسير كان يستدل بكلام الأنبياء بالمعنى.

أولاً: نص التوراة:

أ ـ «متى وجدت وقتا أقضى بالعدل» (مز ٧٥: ٢)

ب ـ «اقضوا بالعدل ـ يا أبناء الناس» (مز ٥٨: ١)

ثانياً: نص الإنجيل:

«قرأ[2] الكتبة فى ذلك اليوم مزمور داود حيث يقول داود[3]: متى وجدت وقتاً أقضى بالعدل. وبعد قراءة الأنبياء انتصب يسوع وأومأ إيماء السكوت بيديه. وفتح فاه وتكلم هكذا: أيها الإخوة لقد سمعتم الكلام الذى تكلم به النبى داود أبونا أنه متى وجد وقتاً قضى بالعدل. إنى أقول لكم حقاً: إن كثيرين يقضون فيخطئون. وإنما يخطئون فيما لا يوافق أهواءهم. وأما ما يوافقها فيقضون به قبل وقته.

---

(١) مت ٧: ٤ و ٥. (٢) برنابا ٤٩: ١ .. (٣) مز ٧٥: ٢.

كذلك ينادينا إله آبائنا على لسان نبيه داود قائلاً: اقضوا بالعدل يا أبناء الناس[1]. فما أشقى أولئك الذين يجلسون على منعطفات الشوارع ولا عمل لهم إلا الحكم على المارة. قائلين: ذلك جميل وهذا قبيح ذلك حسن وهذا ردىء. ويل لهم لأنهم يرفعون قضيب الدينونة من يد الله الذى يقول: إنى شاهدٌ وقاض ولا أعطى مجدى لأحدٍ. الحق أقول لكم: إن هؤلاء يشهدون بما لم يروا ولم يسمعوا قط. ويقضون دون أن ينصبوا قضاة. وإنهم لذلك مكروهون على الأرض أمام عينى الله الذى سيدينهم دينونة رهيبة فى اليوم الآخر. ويل لكم أنتم الذين تمدحون الشر وتدعون الشر خيراً[2]. لأنكم تحكمون على الله بأنه أثيم وهو منشئ الصلاح. وتبرزون الشيطان كأنه صالح وهو منشأ كل شر. فتأملوا أى قصاص يحل بكم وأن الوقوع فى دينونة الله مخوف وستحل حينئذٍ على أولئك الذين يبررون الأثيم لأجل النقود. ولا يقضون فى دعوى اليتامى والأرامل[3]. الحق أقول لكم: إن الشياطين سيقشعرون من دينونة هؤلاء. لأنها ستكون رهيبة جداً.

أيها الإنسان المنصوب قاضياً لا تنظر إلى شئ آخر. لا إلى الأقرباء ولا إلى الأصدقاء ولا إلى الشرف ولا إلى الربح. بل انظر فقط بخوف الله إلى الحق الذى يجب عليك أن تطلبه باجتهادٍ أعظم. لأنه يقيك دينونة الله. ولكنى أنذرك أن من يدين بدون رحمةٍ يدان بدون رحمةٍ.

قل لى أيها الإنسان الذى تدين غيرك [4]. ألا تعلم أن منشأ كل البشر من طينةٍ واحدة. ألا تعلم أنه لا يوجد أحد صالح إلا الله وحده[5]. لذلك كان كل إنسان كاذباً وخاطئاً. صدقنى أيها الإنسان إذا كنت تدين غيرك على ذنب فإن فى قلبك منه ما تدان عليه[6]. ما أشد القضاء خطراً. ما أكثر الذين هلكوا بقضائهم الجائر.

فالشيطان حكم على الإنسان بأنه أنجس منه. لذلك عصى الله خالقه. تلك المعصية التى لم يتب عنها فإن لى علماً بذلك من محادثتى إياه.

(١) مز ٥٨: ١. (٢) إش ٥: ٢٠. (٣) إش ١: ٢٢.
(٤) رو ٢: ١. (٥) لو ١٨: ١٩. (٦) رو ٣: ٤.

وقد حكم أبوانا الأولان بحسن حديث الشيطان. فطرداً لذلك من الجنة. وقضيا على كل نسلهما. الحق أقول لكم: لعمر الله الذى أقف فى حضرته إن الحكم الباطل هو أبو كل الخطايا. لأنه لا أحد يخطئ بدون إرادة. ولا أحد يريد ما لا يعرف. ويل إذاً للخاطئ الذى يحكم فى قضائه بأن الخطيئة صالحة والصلاح فساد. الذى يرفض لذلك السبب الصلاح ويختار الخطيئة. إنه سيحل به قصاص لا يطاق متى جاء الله ليدين العالم.

ما أكثر الذين هلكوا بسبب القضاء الجائر. وما أكثر الذين أوشكوا أن يهلكوا. قضى فرعون[١] على موسى وشعب إسرائيل بالكفر. وقضى شاؤل[٢] على داود بأنه مستحق للموت. وقضى أخاب[٣] على إيليا. ونبوخذ نصر[٤] على الثلاثة الغلمان الذين لم يعبدوا آلهتهم الكاذبة. وقضى الشيخان على سوسنة[٥]. وقضى كل الرؤساء عبدة الأصنام على الأنبياء. ما أرهب قضاء الله. يهلك القاضى وينجو المقضى عليه. ولماذا هذا أيها الإنسان إن لم يكن لأنهم يحكمون على البرئ ظلماً بالطيش؟ ما كان أشد قرب الصالحين من الهلاك. لأنهم حكموا باطلاً. يتبين ذلك من قصة إخوة يوسف الذين باعوه[٦] من المصريين. ومن هرون ومريم[٧] أخت موسى اللذين حكما على أخيهما. وثلاثة من أصدقاء أيوب[٨] حكموا على خليل الله البرئ أيوب. وداود قضى على مفيبوشت[٩] وأوريا[١٠]. وقضى كورش[١١] بأن يكون دانيال طعاما للأسود. وكثيرون آخرون أشرفوا على الهلاك بسبب هذا. لذلك أقول لكم: لا تدينوا فلا تدانوا[١٢]».

* * *

(١) خو ٥: ٨.　(٢) ١ صم ١٨: ٩.　(٣) ١ مل ١٨: ١٧.

(٤) دا ٣: ١٩.　(٥) سوسنة ٣٤.　(٦) تك ٣٧: ٢٧.

(٧) عد ١٢: ١.　(٨) أى ٤.

(٩) ٢ صم ١٦: ٤.　(١٠) ٢ صم ١١: ١٥.

(١١) دا ٦: ١٦.　(١٢) مت ٧: ١.

المثال التاسع:

عذاب جهنم

أولاً: نص التوراة:

أ - «ليس من نظام هناك، بل خوف أبدى» (أى ١٠: ٢٢)

ب - «إن لهيبهم لا ينطفئ ودودهم لا يموت» (إش ٦٦: ٢٤)

إلى آخر النصوص المذكورة فى التفسير.

ثانياً: نص الإنجيل:

«الجحيم[١] واحدة وهى ضد الجنة كما أن الشتاء هو ضد الصيف والبرد ضد الحر. فلذلك يجب على من يصف شقاء الجحيم أن يكون قد رأى جنة نعيم الله. يا له من مكان ملعون بعدل الله لأجل لعنة الكافرين والمنبوذين. الذين قال عنهم أيوب[٢] خليل الله: ليس من نظام هناك بل خوف أبدى. ويقول إشعياء[٣] النبى فى المنبوذين: إن لهيبهم لا ينطفئ ودودهم لا يموت. وقال داود[٤] أبونا باكياً: حينئذٍ يمطر عليهم برقاً وصواعق وكبريتا وعاصفة شديدة.

تباً لهم من خطاة تعساء ما أشد كراهتهم حينئذٍ للحوم الطيبة والثياب الثمينة والأرائك الوثيرة وألحان الغناء الرخيمة. ما أشد ما يسقمهم الجوع واللهب اللذاعة والجمر المحرق والعذاب الأليم مع البكاء المر الشديد.

ثم أنّ يسوع أنة أسفٍ قائلاً: حقاً خير لهم لو لم يكونوا من أن يعانوا هذا العذاب الأليم. تصوروا رجلاً يعانى العذاب فى كل جارحةٍ من جسده وليس ثم من يرثى له بل الجميع يستهزئون به. أخبرونى ألا يكون هذا ألماً مبرحاً؟ فأجاب التلاميذ: أشد تبريح. فقال يسوع: إن هذا النعيم ضد الجحيم. لأنى أقول لكم بالحق: إنه لوْ وضع الله فى كفةٍ كل الآلام التى عاناها الناس فى هذا العالم والتى سيعانونها حتى يوم الدين وفى الكفة

---

(١) برنابا ٦٠: ١-. (٢) ١٠: ٢٢. (٣) إش ٦٦: ٢٤. (٤) مز ١١: ٦.

الأخرى ساعة واحدة من ألم الجحيم لاختار المنبوذون بدون ريب المحن العالمية. لأن العالمية تأتى على يد الإنسان أما الأخرى فعلى يد الشيّاطين الذين لا شفقة لهم على الإطلاق. فما أشد الذى سيصلونه الخطاة الأشقياء. ما أشد البرد القارس الذى لا يخفف لهبهم. ما أشد صرير الأسنان والبكاء والعويل. لأن ماء الأردن أقل من الدموع التى ستجرى كل دقيقةٍ من عيونهم. وستلعن هنا ألسنة كل المخلوقات مع أبيهم وأمهم خالقهم المباركَ إلى الأبد».

* * *

المثال العاشر:

لا صالح إلا الله وحده

أولاً: نص التوراة:

أ ـ «الطفل الذى عمره يوم؛ ليس نقيا. بل إن الملائكة ليست منزهة عن الخطأ أمام الله» (أى ١٥: ١٤ ـ ١٥)

وفى التفسير نصوص كثيرة.

ثانياً: نص الإنجيل:

«وجاء[١] إليه واحد قائلا: أيها المعلم الصالح إنك تعلّم حسناً. وحقاً. لذلك قل لى: ما هو الجزاء الذى يعطينا إياه الله فى الجنة؟ أجاب يسوع: إنك تدعونى صالحاً[٢] وأنت لا تعلم أن لا صالح إلا الله وحده كما قال أيوب[٣] خليل الله: الطفل الذى عمره يوم ليس نقياً بل الملائكة ليست منزهة عن الخطأ أمام الله. وقال أيضاً[٤]: إن الجسد يجذب الخطيئة ويمتص الإثم كما تمتص الإسفنجة الماء. فصمت لذلك الكاهن لأنه فشل. وقال يسوع: الحق أقول لكم: لا شئ أشد خطراً من الكلام. لأنه هكذا قال سليمان[٥]: الحياة والموت هما تحت سلطة اللسان. والتفت إلى تلاميذه

(١) برنابا ٦٦: ١ ..   (٢) لو ١٨: ١٩.   (٣) أى ١٥: ١٤ ـ ١٥.
(٤) أى ١٥: ١٦.   (٥) أم ١٨: ٢١.

وقال: احذروا الذين يبار كونكم لأنهم يخدعونكم. فباللسان بارك الشيطان أبوينا الأولين ولكن كانت عاقبة كلامه شقاء. هكذا أيضاً بارك حكماء مصر فرعون. هكذا بارك جليات الفلسطينيين. هكذا بارك أربع مئة نبي كاذبٍ أخآب[1]. ولكن لم يكن مدحهم إلا باطلاً فهلك الممدوحون مع المادحين. لذلك لم يقل الله بلا سبب على لسان إشعياء[2] النبي: يا شعبي إن الذين يباركونك يخدعونك.

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون. ويل لكم أيها الكهنة واللاويون لأنكم أفسدتم ذبيحة الرب. حتى أن الذين جاءوا ليقدموا الذبائح يعتقدون أن الله يأكل لحماً مطبوخاً كالإنسان.

لأنكم تقولون لهم: أحضروا من غنمكم وثيرانكم وحملانكم إلى هيكل إلهكم ولا تأكلوا الجميع بل أعطوا نصيباً لإلهكم مما أعطاكم. ولكنكم لا تخبرونهم عن أصل الذبيحة إنها شهادة الحياة التي أنعم بها على ابن أبينا إبراهيم. حتى لا ينسى إيمان وطاعة أبينا إبراهيم مع المواعيد الموثقة معه من الله والبركة الممنوحة له. ولكن يقول الله على لسان حزقيال[3] النبي: أبعدوا عني ذبائحكم هذه إن ضحاياكم مكروهة عندي. لأنه يقترب الوقت الذي يتم فيه ما تكلم عنه إلهنا على لسان هوشع[4] النبي قائلاً: إني أدعو الشعب غير المختار مختاراً. وكما يقول في حزقيال النبي: سيعمل الله ميثاقاً جديداً مع شعبه ليس نظير الميثاق الذي أعطاه لآبائكم فلم يفوا[5] به وسيأخذ منهم قلباً من حجر ويعطيهم قلباً جديداً[6]. وسيكون كل هذا لأنكم لا تسيرون الآن بحسب شريعته. وعندكم المفتاح ولا تفتحون[7] بل بالحرى تسدون الطريق على الذين يسيرون فيها.

وهم الكاهن بالانصراف ليخبر رئيس الكهنة الذي كان واقفاً على مقربةٍ من الهيكل بكل شئ. ولكن يسوع قال له: قف لأني أجيبك على سؤالك.

(1) 1 مل 22: 23.
(2) إش 1: 11.
(3) إش 1: 11 و إر 6: 20.
(4) هو 2: 23.
(5) إر 31: 31 - 32.
(6) حز 36: 26.
(7) لو 11: 52.

سألتنى أن أخبرك ما يعطينا الله فى الجنة؟ الحق أقول لكم: إن الذين يهتمون بالأجرة لا يحبون صاحب العمل. فالراعى الذى عنده قطيع من الغنم متى رأى الذئب مقبلاً يتهيأ للمحاماة عنه. وبالضد منه الأجير الذى متى رأى الذئب ترك الغنم[1] وهرب. لعمر الله الذى أقف فى حضرته لو كان إله آبائنا إلهكم لما خطر فى بالكم أن تقولوا: ماذا يعطينى الله. بل كنتم تقولون كما قال داود[2] نبيه: ماذا أعطى الله من أجل جزاء ما أعطانى.

إنى أضرب لكم مثلاً[3] لتفهموا كان ملك عثر فى الطريق على رجل جردته اللصوص الذين أثخنوه جراحاً حتى الموت. فتحنن عليه وأمر عبيده أن يحملوا ذلك الرجل إلى المدينة ويعتنوا به. ففعلوا هذا بكل جد. وأحب الملك الجريح حباً عظيماً حتى أنه زوجه من ابنته وجعله وريثه. فلا مراء فى أن هذا الملك كان رءوفاً جداً. ولكن الرجل ضرب العبيد واستهان بالأدوية وامتهن امرأته وتكلم بالسوء فى الملك وحمل عماله على عصيانه. وكان إذا طلب الملك منه خدمة قال: ما هو الجزاء الذى يعطينى إياه الملك؟ فماذا فعل الملك بمثل هذا الكنود عندما سمع هذا؟ فأجاب الجميع: ويل له لأن الملك نزع منه كل شئ ونكل به تنكيلاً.

فقال حينئذ يسوع: أيها الكهنة والكتبة والفريسيون وأنت يا رئيس الكهنة الذى تسمع صوتى إنى أعلن لكم ما قال الله لكم على لسان نبيه إشعياء[4]: ربيت عبيداً ورفعت شأنهم أما هم فامتهنونى. إن الملك لهو إلهنا الذى وجد إسرائيل فى هذا العالم مفعماً شقاء. فأعطاه لعبيده يوسف وموسى وهرون الذين اعتنوا به. وأحبه إلهنا حباً شديداً حتى أنه لأجل شعب إسرائيل ضرب مصر وأغرق فرعون وهزم مئة وعشرين[5] ملكاً من الكنعانيين والمدينين. وأعطاه شرائعه جاعلاً إياه وارثاً لكل تلك البلاد التى يقيم فيها شعبنا. ولكن كيف تصرف إسرائيل؟ كم قتل من الأنبياء؟ كم نجس

(١) يو ١٠: ١١. (٢) مز ١١٦: ١٢. (٣) لو ١٠: ٣٠.
(٤) إش ١: ٢. (٥) يش ١٢: ٢٤.

نبوة؟ كيف عصى شريعة الله؟. كم وكم تحول أناس عن الله لذلك السبب وذهبوا ليعبدوا الأوثان بذنبكم أيها الكهنة؟ فلكم تمتهنون الله بسلوككم والآن تسألوننى: ماذا يعطينا الله فى الجنة؟ فكان يجب عليكم أن تسألونى: أى قصاص يعطيكم الله إياه فى الجحيم؟ وماذا يجب عليكم فعله لأجل التوبة الصادقة ليرحمكم الله؟ فهذا ما أقوله لكم ولهذه الغاية أرسلت إليكم».

* * *

المثال الحادى عشر

تعليم الأنبياء بواسطة الكتب

أولاً: نص التوراة:

لما تذمر بنو إسرائيل على موسى ﷺ. قال الله لموسى: «أنهم لم يمتهنوك، ولكنهم امتهنونى» (خر ١٦: ٨)

ثانياً: نص الإنجيل:

«أجاب[١] يعقوب: وكيف يعلمنا الأنبياء وهم أموات؟ وكيف يعلم من لا معرفة له بالأنبياء؟ فأجاب يسوع: إن تعليمهم مدون فتجب مطالعته لأن الكتابة بمثابة نبى لك. الحق الحق أقول لك: إن من يمتهن النبوة لا يمتهن النبى فقط بل يمتهن الله الذى أرسل النبى[٢] أيضاً. أما ما يختص بالأمم الذين لا يعرفون النبى فإنى أقول لكم: إنه إذا عاش فى تلك الأقطار رجل يعيش كما يوحى إليه قلبه غير فاعل للآخرين ما لا يود أن يناله من الآخرين، معطياً لقريبه ما يود أخذه من الآخرين؛ فلا تتخلى رحمة الله عن مثل هذا الرجل. فلذلك يظهر له الله ويمنحه برحمته شريعته عند الموت إن لم يكن قبل ذلك. ولعله يخطر فى بالكم أن الله أعطى الشريعة حباً فى الشريعة. حقاً إن هذا لباطل بل منح الله شريعته ليفعل الإنسان حسناً حباً فى الله. فإذا وجد الله إنساناً يفعل حسناً حباً له أفتظنون أنه يمتهنه؟ كلا

(١) برنابا ٧٩: ١ .. (٢) لو ١٠: ١٦.

ثم كلا بل يحبه أكثر من الذين أعطاهم الشريعة. إنى أضرب لكم مثلاً: كان لرجل أملاك كثيرة وكان من أملاكه أرض قاحلة لم تنبت إلا أشياء لا ثمر لها. وبينما كان سائراً ذات يوم وسط هذه الأرض القاحلة عثر بين هذه الأنبتة غير المثمرة على نبات ذى ثمار شهية. فقال هذا الإنسان حينئذ: كيف تأتّى لهذا النبات أن يحمل هذه الثمار الشهية هنا؟ إنى لا أريد أنّ يقطع ويوضع فى النار مع البقية. ثم دعا خدمه وأمرهم بقلعه ووضعه فى بستانه. إنى أقول لكم: هكذا يحفظ إلهنا من لهب الجحيم من يفعلون براً أينما كانوا.

قولوا لى: أسكن أيوب فى غير أرض عوص[1] بين عبدة الأصنام؟ وكيف يكتب موسى عن زمن الطوفان؟ قولوا لى. إنه يقول: إن نوحاً وجد نعمة أمام الله[2]. كان لأبينا إبراهيم أب لا إيمان له لأنه كان يصنع ويعبد الأصنام الباطلة. وسكن لوط[3] بين شر ناس على الأرض. ولقد أخذ نبوخذ نصر دانيال أسيراً وهو طفل مع حنينا وعزريا وميشائيل[4] الذين لم يكن لهم سوى سنتين من العمر لما أسروا وربوا بين جمع من الخدم عبدة الأصنام. لعمر الله إن النار كما تحرق الأشياء اليابسة وتحولها ناراً بدون تمييز بين الزيتون والسرو والنخل؛ هكذا يرحم إلهنا كل من يفعل براً غير مميز بين اليهودى والسكيثى واليونانى والإسماعيلى[5]. ولكن لا يقف قلبك هناك يا يعقوب لأنه حيث أرسل الله النبى ترتب عليك حتماً أن تنكر حكمك وتتبع النبى. لا أن تقول: لماذا يقول هذه؟ لماذا يأمر وينهى؟ بل قل: هكذا يريد الله وهكذا يأمر الله. ألا ماذا قال الله لموسى لما امتهن إسرائيل موسى؟: إنهم لم يمتهنوك ولكنهم امتهنونى[6] أنا. الحق أقول لكم: إنه يجب على الإنسان أن لا يصرف زمن حياته فى تعلم التكلم أو القراءة بل فى تعلم كيف يشتغل جيداً. ألا قولوا لى: أى خادم لهيرودس لا يحاول مرضاته بأن يخدمه بكل جد. ويل للعالم الذى يحاول أن يرضى جسداً ليس سوى طين

---

(١) أى ١: ١. (٢) تك ٦: ٨. (٣) تك ١٣: ١٢.

(٤) دا ١: ٦. (٥) كو ٣: ١١. (٦) ١ صم ٨: ٧ و خر ١٦: ٨.

وسرقين ولا يحاول بل ينسى خدمة الله الذى خلق كل شئ. المجيد إلى الأبد»

* * *

المثال الثانى عشر:

تحويل القبلة

أولاً: نص التوراة:

«ليس بالخبز وحده؛ يحيا الإنمسان، بل بكل ما يخرج من فم الرب، يحيا الإنسان» (تث ٨: ٣)

ثانياً: نص الإنجيل:

«ولما[١] قال يسوع هذا صلّى وقال بعد صلاته: لا يجب أن نعبر غداً إلى السامرة لأنه قال لى ملاك الله القدوس. وبلغ يسوع باكراً صباح يوم بئراً كان قد صنعها يعقوب ووهبها ليوسف ابنه[٢]. ولما أعيا يسوع من السفر أرسل تلاميذه إلى المدينة ليشتروا طعاماً. فجلس بجانب البئر على حجر البئر وإذا بامرأة من السامرة قد جاءت إلى البئر لتستقى ماءً. فقال يسوع للمرأة: أعطينى لأشرب. فأجابت المرأة: ألا تخجل وأنت عبرانى أن تطلب منى شربة فقال لها: لو تعلمين من أنا؛ لطلبت أنت منه شربة. أجابت المرأة: وكيف تعطينى لأشرب ولا إناء ولا حبل معك لتجذب به الماء والبئر عميقة؟ أجاب يسوع: أيتها المرأة من يشرب من ماء هذه البئر يعاوده العطش أما من يشرب من الماء الذى أعطيه فلا يعطش أبداً بل يعطى العطاش ليشربوا بحيث يصلون إلى الحياة الأبدية. فقالت المرأة: يا سيد أعطنى من مائك هذا. أجاب يسوع: اذهبى وادعى زوجك وإياكما أعطى لتشربا. قالت المرأة: ليس لى زوج. أجاب يسوع: حسناً قلت الحق لأنه كان لك خمسة أزواج والذى معك الآن ليس هو زوجك. فلما سمعت المرأة هذا اضطربت وقالت: يا سيد أرى بهذا أنك نبى. لذلك أضرع إليك أن تخبرنى

(١) برنابا ٨١: ٥ .. (٢) يو ٤: ٤ - ٢٠.

عمـا يأتى: إن العبـرانيين يصلّون على جبل صهيون فى الهيكل الذى بناه سليمـان فى أورشليم ويقـولون: إن نعـمـة الله ورحـمـتـه توجد هـناك لا فى مـوضع آخـر. أمـا قـومنا فـإنهم يسـجـدون على هذه الجـبـال ويقـولون: إن السـجود إنما يجب أن يكون على جبال السـامرة فقط. فمن هم السـاجدون الحقيقيون؟

حينئذٍ تنهد يسوع وبكى قائلاً:. ويل لك يا بلاد اليهودية لأنك تفخرين قائلة(١): هيكل الرب هيكل الرب وتعيشين كأنه لا إله منغمسـة فى الملذات ومكاسب العـالم. فـإن هذه المرأة تحكم عليك بالجـحيم فى يوم الدين. لأن هذه المرأة تطلب أن تعرف كيف تجد نعمة ورحمة عند الله.

ثم التـفت إلى المرأة وقـال(٢): أيتـهـا المرأة إنكم أنتم السـامـريون تسـجدون لما لا تعرفون أما نحن العبـرانيين فنسـجد لمن نعرف. الحق أقول لك:.إن الله روح وحق ويجب أن يسـجد له بالروح والحق. لأن عهد الله إنما أخذ فى أورشليم فى هيكل سليمان لا فى موضع آخر. **ولكن صدقينى إنه يأتى وقت يعطى الله فيه رحمته فى مدينة أخرى ويمكن السجود له فى كل مكان بالحق ويقبل الله الصلاة الحقيقية فى كل مكان برحمته.**

أجابت المرأة: إننا ننتظر مَسِيّا فمتى جاء يعلمنا. أجاب يسوع: أتعلمين أيتها المرأة أن مسيا لا بد أن يأتى؟ أجابت: نعم يا سيد. حينئذٍ تهلل يسوع وقـال: يلوح لى أيتـهـا المرأة أنك مـؤمنة. فـاعلمى إذاً أنه بالإيمان بمسـيـا سيخلص كل مختارى الله. إذاً وجب أن تعرفى مجىء مسيا. قالت المرأة: لعلك أنت مسيا أيها السيد. أجاب يسوع: إنى حقاً أرسلت إلى بيت إسرائيل نبى خلاص. ولكن سيأتى بعدى مسيا المرسل من الله لكل العالم الذى لأجله خلق الله العالم. وحينئذٍ يسجد لله فى كل العالم وتنال الرحمة حتى أن سنة اليوبيل التى تجىء الآن كل مئة سنة سيجعلها مسيا كل سنة فى كل مكان. حينئذٍ تركت المرأة جرتها وأسرعت إلى المدينة لتخبر بكل ما سمعت من يسوع.

---

(١) إر ٧: ٤. (٢) يو ٤: ٢١ - ٢٦.

وبينما كانت المرأة تكلم يسوع جاء تلاميذه وتعجبوا أنه كان يتكلم هكذا مع امرأة[1]. ومع ذلك لم يقل له أحد: لماذا تتكلم هكذا مع امرأة سامرية؟ فلما انصرفت المرأة قالوا: يا معلم تعال وكل. أجاب يسوع: يجب أن آكل طعاماً آخر. فقال التلاميذ بعضهم لبعض: لعل مسافراً كلم يسوع وذهب ليفتش له على طعام. فسألوا الذى يكتب هذا قائلين: هل كان هنا أحد كان يمكنه أن يحضر طعاماً للمعلم يا برنابا؟ فأجاب الذى يكتب: لم يكن هنا من أحد خلا المرأة التى رأيتموها التى أحضرت هذا الإناء الفارغ لتملأه ماء. فوقف التلاميذ مندهشين منتظرين نتيجة كلام يسوع. عندئذٍ قال يسوع: إنكم لا تعلمون أن الطعام الحقيقى هو عمل مشيئة الله. لأنه ليس الخبز[2] الذى يقيت الإنسان ويعطيه حياة بل بالحرى كلمة الله بإرادته. فلهذا السبب لا تأكل الملائكة الأطهار بل يعيشون ويتغذون بإرادة الله. وهكذا نحن وموسى[3] وإيلياء[4] وواحد آخر لبثنا أربعين يوماً وأربعين ليلة بدون شىء من الطعام. ثم رفع يسوع عينيه وقال: متى يكون الحصاد؟ أجاب التلاميذ: بعد ثلاثة أشهر. قال يسوع: انظروا الآن كيف أن الجبال بيضاء بالحبوب. الحق أقول لكم: إنه يوجد اليوم حصاد عظيم يجنى. وحينئذٍ أشار إلى الجم الغفير الذى أتى ليراه. لأن المرأة لما دخلت المدينة أثارت المدينة بأسرها قائلة: أيها القوم تعالوا وانظروا نبياً جديداً مرسلاً من الله إلى بيت إسرائيل. وقصت عليهم كل ما سمعت من يسوع. فلما أتوا إلى هناك توسلوا إلى يسوع أن يمكث عندهم. فدخل المدينة ومكث هناك يومين شافياً كل المرضى ومعلماً ما يختص بملكوت الله. حينئذٍ قال أهل المدينة للمرأة: إننا أكثر إيماناً بكلامه وآياته منا بما قلت. لأنه قدوس الله حقاً ونبى مرسل لخلاص الذين يؤمنون به.

وبعد صلاة نصف الليل اقترب التلاميذ من يسوع. فقال لهم: ستكون هذه الليلة فى زمن مسيا رسول الله اليوبيل السنوى الذى يجىء الآن كل مئة

(١) يو ٤: ٢٧ - ٤٢. (٢) تث ٨: ٣ و مت ٤: ٤. (٣) خر ٢٤: ١٨. (٤) ١ مل ١٩: ٨.

سنة. لذلك لا أريد أن ننام بل أن نصلى محنين رأسنا مئة مرة ساجدين لإلهنا القدير الرحيم المبارك إلى الأبد.

فلنقل كل مرة: **أعترف بك إلهنا الأحد الذى ليس لك من بداية ولا يكون لك من نهاية. لأنك برحمتك أعطيت كل الأشياء بدايتها وستعطى بعد ذلك للكل نهاية. لا شبه لك بين البشر. لأنك بوجودك غير المتناهى لست عرضة للحركة ولا لعارض. ارحمنا لأنك خلقتنا ونحن عمل يدك»**

* * *

المثال الثالث عشر:

التوبة من الذنوب

تمهيد:

المزمور الرابع والثمانون. فيه كلام عن الحج إلى الكعبة البيت الحرام. ومنه: «طربى للساكنين فى بيتك أبداً. يسبحونك» ومنه: «طرق بيتك فى قلوبهم» ويقول داود عليه السلام: إن الحجاج من جميع الأمم يأتون إلى «مكة» ليستغفروا الله من ذنوبهم. وعلى وادى عرفات فى يوم واحد؛ يبكون كثيراً على ما ارتكبوا عن الذنوب، حتى أن الوادى لو أُطلق عليه فى هذا اليوم وحده وادى الدموع أو وادى البكاء؛ لصح هذا الإطلاق عليه. وكثرة البكاء فى يوم عرفه؛ جوّز إطلاق «بكة» على مكان البكاء فى الوادى، وعلى أرض الوادى كلها وهى «مكة» لأن كثرة البكاء من خلق كثيرين فى وقت واحد؛ تجوّز أنهم فعلوا ضجة بالبكاء؛ ولأن الراجع منهم إلى بلده، لو وصف بكاء الحجاج فى هذا الوادى؛ لقال: إنهم يعملون ضجة باستغاثة وبكاء فى مكة. فإذا قيل بكة؛ فالقول هو على أن البكة تحدث فى جزء من أرضها. وإذا قيل مكة؛ فالقول على المكان كله لا جزئه. ولذلك ترجمت التراجم الأجنبية Baca وجعلت الباء كابيتل للدلالة على أنها اسم.

يقول داود عليه السلام: «طوبى لأناس عزّهم بك. طرق بيتك فى قلوبهم. عابرين فى وادى البكاء؛ يُصيرونه ينبوعا...»

وأهل العالم من الأمم واليهود. إذ يتوبون ويستغفرون، ويأتون إلى الحج ليرجعوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم؛ يكونون بإتيانهم قد فعلوا خطايا، ويكونون بإتيانهم قد نابوا عن العالم فى الإتيان للاستغفار من الخطايا، فكأن العالم كله قد أتى؛ لأن عنهم نواب قادرون قد أتوا. وتخلف غير المستطيعين إليه سبيلا. وفى هذا المعنى يقول عيسى عليه السلام: «حتى أنه يصدق على هذا العالم ما قال أبونا داود من أنه وادى الدموع» وفى ترجمة «وادى البكاء»

* * *

أولاً: نص التوراة:

«طوبى لأناس عـزّهم بك. طرق بيتك فى قلوبهم. عابرين فى وادى البكاء. يُصيِّرونه ينبوعا. أيضاً: ببركات يُغَطّون مُوَرة. يذهبون من قوة إلى قوة. يُرون قدام الله فى صِهْيَون[1]» (مزمور ٨٤)

ثانياً: نص الإنجيل:

«الحق[2] أقول لكم: إن كل حيوان مفطور على الحزن لفقد ما يشتهى من الطيبات. لذلك وجب على الخاطئ النادم ندامة صادقة أن يرغب كل الرغبة فى أن يقتص من نفسه لما صنع. عاصياً لخالقه. حتى أنه متى صلى لا يجسر أن يرجو الجنة من الله أو أن يعتقه من الجحيم. بل أن يسجد لله مضطرب الفكر ويقول فى صلاته: انظر يا رب إلى الأثيم الذى أغضبك بدون أدنى سبب فى الوقت الذى كان يجب عليه أن يخدمك فيه. لذلك يطلب الآن أن تقتص منه لما فعله بيدك لا بيد الشيطان عدوك. حتى لا يشمت الفجار بمخلوقاتك. أدب واقتص كما تريد يا رب لأنك لا تعذبنى كما يستحق هذا الأثيم. فإذا جرى الخاطئ على هذا الأسلوب وجد أن رحمة الله تزيد على نسبة العدل الذى يطلبه. حقاً إن ضحك الخاطئ دنس مكروه حتى أنه يصدق على هذا العالم ما قال أبونا داود من أنه وادى الدموع[3].

(١) فى صهيون تحريف. لأن السامريين يقولون فى جرزيم. وليس فى التوراة تقديس الجبلين.

(٢) برنابا ١٠٢: ١.. (٣) مز ٨٤: ٦.

كان ملك تبنى أحد عبيده وجعله سيداً على كل ما يملكه. فحدث بسعاية ماكر خبيث أن وقع هذا التعيس تحت غضب الملك. فأصابه شقاء عظيم لا فى مقتنياته فقط بل احتقر وانتزع منه ما كان يربحه كل يوم من العمل. أتظنون أن مثل هذا الرجل يضحك مرة ما؟ فأجاب التلاميذ: لا ألبتة لأنه لو عرف الملك بذلك لأمر بقتله إذ يرى أنه يضحك من غضبه. ولكن الأرجح أنه يبكى نهاراً وليلاً. ثم بكى يسوع قائلاً: ويل للعالم لأنه سيحل به عذاب أبدى. ما أتعسك أيها الجنس البشرى. فإن الله قد اختارك ابناً واهباً إياك الجنة. ولكنك أيها التعيس سقطت تحت غضب الله بعمل الشيطان وطردت من الجنة وحكم عليك بالإقامة فى العالم النجس حيث تنال كل شىء بكدح وكل عمل صالح لك يحبط بتوالى ارتكاب الخطايا. وإنما العالم يضحك والذى هو شر من ذلك أن الخاطئ الأكبر يضحك أكثر من غيره. فسيكون كما قلتم: إن الله يحكم بالموت الأبدى على الخاطئ الذى يضحك لخطاياه ولا يبكى عليها.

إن بكاء الخاطئ يجب أن يكون كبكاء أب على ابن مشرف على الموت. ما أعظم جنون الإنسان الذى يبكى على الجسد الذى فارقته النفس ولا يبكى على النفس التى فارقتها رحمة الله بسبب الخطيئة. قولوا لى: إذا قدر النوتى الذى كسرت العاصفة سفينته على أن يسترد بالبكاء كل ما خسر فماذا يفعل؟ من المؤكد أنه يبكى بمرارة. ولكن أقول لكم حقاً: إن الإنسان يخطئ فى البكاء على أى شىء إلا على خطيئته فقط. لأن كل شقاء يحل بالإنسان إنما يحل به من الله لخلاصه حتى أنه يجب عليه أن يتهلل له. ولكن الخطيئة إنما تأتى من الشيطان للعنة الإنسان ولا يحزن الإنسان عليها. حقاً إنكم لا تدركون أن الإنسان إنما يطلب هنا خسارة لا ربحاً.

قال برثولماوس: يا سيد ماذا يجب أن يفعل من لا يقدر أن يبكى لأن قلبه غريب عن البكاء؟

أجاب يسوع: ليس كل من يسكب العبرات يباكٍ يا برثولماوس. لعمر الله يوجد قوم لم تسقط من عيونهم عبرة قط بكوا أكثر من ألف من الذين

يسكبون العبرات. إن بكاء الخاطئ هو احتراق هواه العالمى بشدة الأسى. وكما أن نور الشمس يقى هذا الاحتراق النفس من الخطيئة. فلو وهب الله النادم الصادق دموعاً قدر ما فى البحر من ماء لتمنى أكثر من ذلك بكثير. ويفنى هذا التمنى تلك القطرة الصغيرة التى يود أن يسكبها كما يفنى الأتون الملتهب قطرة من ماء. أما الذين يفيضون بكاء بسهولة فكالفرس الذى تزيد سرعة عدوه كلما خف حمله»

* * *

المثال الرابع عشر:

يد الله

أولاً: نص التوراة:

أ ـ «كلمنا أنت يا موسى، ولا يكلمنا الله لئلا نموت» (خر ٢٠: ١٩)

ب ـ «أليس كما بعدت السموات عن الأرض؛ هكذا بعدت طرق الله عن طرق الناس، وأفكار الله عن أفكار الناس؟» (إش ٥٥: ٩)

ثانياً: نص الإنجيل:

«إنه ليوجد[1] قوم يجمعون بين الهوى الداخلى والعبرات الخارجية. ولكن من على هذه الشاكلة يكون كإرمياء[2]. ففى البكاء يزن الله الحزن أكثر مما يزن العبرات. فقال حينئذٍ يوحنا: يا معلم كيف يخسر الإنسان فى البكاء على غير الخطيئة؟. أجاب يسوع: إذا أعطاك هيرودس رداءً لتحفظه له، ثم أخذه بعد ذلك منك أيكون لك باعث على البكاء؟ فقال يوحنا: لا. فقال يسوع: إذاً يكون باعث الإنسان على البكاء أقل من هذا إذا خسر شيئاً أو فاته ما يريد؛ لأن كل شىء يأتى من يد الله. أليس لله إذاً قدرة على التصرف بأشيائه حسبما تريد أيها الغبى؟ أما أنت فليس لك من ملك سوى الخطيئة فقط فعليها يجب أن تبكى لا على شىء آخر. **قال متى: يا معلم إنك لقد اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالبشر وقلت الآن إن**

(١) برنابا ١٠٤: ١ ـ. (٢) مرا ١: ١٢.

الإنسان ينال من يد الله. فإذا كان لله يدان فله إذاً شبه بالبشر. أجاب يسوع: إنك لفى ضلال يا متى. ولقد ضل كثيرون هكذا إذ لم يفقهوا معنى الكلام. لأنه لا يجب على الإنسان أن يلاحظ ظاهر الكلام بل معناه إذ الكلام البشرى بمثابة ترجمان بيننا وبين الله. ألا تعلم أنه لما أراد الله أن يكلم آباءنا على جبل سيناء صرخ آباؤنا. كلمنا أنت يا موسى ولا يكلمنا الله لئلا نموت[1]؟ وماذا قال الله على لسان إشعياء[2] النبى: أليس كما بعدت السموات عن الأرض هكذا بعدت طرق الله عن طرق الناس وأفكار الله عن أفكار الناس؟

إن الله لا يدركه قياس إلى حد أنى أرتجف من وصفه. ولكن يجب أن أذكر لكم قضية. فأقول لكم إذاً: إن السموات تسع وإنها بعضها يبعد عن بعض كما تبعد السماء الأولى عن الأرض سفر خمس مئة سنة. وعليه فإن الأرض تبعد عن أعلى سماء مسيرة أربعة آلاف وخمس مئة سنة. فبناء على ذلك أقول لكم: إنها بالنسبة إلى السماء الأولى كرأس إبرة. ومثلها السماء الأولى بالنسبة إلى الثانية وعلى هذا النمط كل السموات الواحدة منها أسفل مما يليها. ولكن كل حجم الأرض مع حجم كل السموات بالنسبة إلى الجنة كنقطة بل كحبة رمل. أليست هذه العظمة مما لا يقاس؟ فأجاب التلاميذ: بلى بلى.

حينئذ قال يسوع: لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته إن الكون أمام الله لصغير كحبة رمل. والله أعظم من ذلك بمقدار ما يلزم من حبوب الرمل لملء كل السموات والجنة بل أكثر. فانظروا الآن إذا كان هنالك نسبة بين الله والإنسان الذى ليس سوى كتلة صغيرة من طين واقفة على الأرض. فانتبهوا إذاً لتأخذوا المعنى لا مجرد الكلام إذا أردتم أن تنالوا الحياة الأبدية. فأجاب التلاميذ: إن الله وحده يقدر أن يعرف نفسه وإنه حقاً لكما قال إشعياء[3] النبى: هو محتجب عن الحواس البشرية؟ أجاب يسوع: إن هذا لهو الحق لذلك سنعرف الله متى صرنا فى الجنة كما يعرف هنا البحر

---

(١) خر ٢٠: ١٩. (٢) إش ٥٥: ٩. (٣) إش ٤٥: ١٥.

من قطرة ماء مالح. وإنى أعود إلى حديثى فأقول لكم: إنه يجب على الإنسان أن يبكى على الخطيئة فقط لأنه بالخطيئة يترك الإنسان خالقه. ولكن كيف يبكى من يحضر مجالس الطرب والولائم؟ إنه يبكى كما يعطى الثلج ناراً!. فعليكم أن تحولوا مجالس الطرب إلى صوم إذا أحببتم أن يكون لكم سلطة على حواسكم لأن سلطة إلهنا هكذا. فقال تداوس: إذاً يكون لله حاسة يمكن التسلط عليها؟ أجاب يسوع: أتعودون إذاً للقول بأن لله هذا وأن الله هكذا؟ قولوا لى: ألِلإنسان حاسة؟ أجاب التلاميذ: نعم. فأجاب يسوع: أيمكن أن يوجد إنسان فيه حياة ولا تعمل فيه حاسة؟ أجاب التلاميذ: لا. قال يسوع: إنكم تخدعون أنفسكم فأين حاسة من كان أعمى أو أطرش أو أخرس أو أبتر والإنسان حين يكون فى غيبوبة؟ فتحير حينئذٍ التلاميذ. **أما يسوع فقال: يتألف الإنسان من ثلاثة أشياء: النفس والحس والجسد**. كل منها مستقل بذاته. ولقد خلق إلهنا النفس والجسد كما سمعتم. ولكنكم لم تسمعوا حتى الآن كيف خلق الحس. لذلك أقول لكم كل شىء غداً إن شاء الله. ولما قال يسوع هذا شكر الله وصلى لخلاص شعبنا. وكل منا يقول: آمين.

فلما فرغ يسوع من صلاة الفجر جلس تحت شجرة نخل فاقترب تلاميذه إليه هناك. حينئذٍ قال يسوع: لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته إن كثيرين مخدوعون فى شأن حياتنا. لأن النفس والحس مرتبطان معاً ارتباطاً محكماً حتى أن أكثر الناس يثبتون أن النفس والحس إنما هما شئ واحد فارقين بينهما بالعمل لا بالجوهر ويسمونها بالنفس الحاسة والنباتية والعقلية. ولكن الحق أقول لكم: إن النفس هى شىء حى مفكر. ما أشد غباوتهم فأين يجدون النفس العقلية بدون حياة؟ لن يجدوها أبداً. ولكن يسهل وجود الحياة بدون حس كما يشاهد فى من وقع فى غيبوبة متى فارقه الحس. أجاب تداوس: **يا معلم متى فارق الحس الحياة فلا يكون للإنسان حياة**. أجاب يسوع: إن هذا ليس بصحيح لأن الإنسان إنما يفقد الحياة متى فارقته النفس لأن النفس لا ترجع إلى الجسد إلا بآية. ولكن

الحس يذهب بسبب الخوف الذى يعرض له أو بسبب الغم الشديد الذى يعرض للنفس. لأن الله خلق الحس لأجل الملذة ولا يعيش إلا بها كما أن الجسد يعيش بالطعام والنفس تعيش بالعلم والحب. فهذا الحس يخالف النفس بسبب الغيظ الذى يلم به لحرمانه من ملذة الجنة بسبب الخطيئة. لذلك وجب أشد الوجوب وآكده على من لا يريد تغذيته بالملذة الجسدية أن يغذيه بالملذة الروحية. أتفهمون؟ الحق أقول لكم: إن الله لما خلقه حكم عليه بالجحيم والثلج والجليد اللذين لا يطاقان. لأنه قال: إنه هو الله. ولكن لما حرمه من التغذية وأخذ طعامه منه أقر أنه عبد الله وعمل يديه. والآن قولوا لى: كيف يعمل الحس فى الفجار؟ حقاً إنه لهم بمثابة الله لأنهم يتبعون الحسّ معرضين عن العقل وعن شريعة الله. فيصيرون مكروهين ولا يعملون صالحاً.

وهكذا فإن أول شىء يتبع الحزن على الخطيئة؛ الصوم. لأن من يرى أن نوعاً من الطعام أمرضه حتى خشى الموت فإنه بعد أن يحزن على أكله يعرض عنه حتى لا يمرض. فهكذا يجب على الخاطئ أن يفعل. فمتى رأى أن اللذة جعلته يخطئ إلى الله خالقه باتباعه الحس فى طيبات العالم هذه؛ فليحزن لأنه فعل هكذا. لأن هذا يحرمه من الله حياته ويعطيه موت الجحيم الأبدى. ولكن لما كان الإنسان محتاجاً وهو عائش إلى مناولة طيبات العالم هذه؛ وجب عليه هنا الصوم. فليأخذ إذاً فى إماتة الحس وأن يعرف الله سيداً له. ومتى رأى أن الحس يمقت الصوم فليضع قبالته حال الجحيم حيث لا لذة على الإطلاق بل الوقوع فى حزن غير متناه. وليضع قبالته مسرات الجنة التى هى عظيمة بحيث إن حبة من ملاذ الجنة لأعظم من ملاذ العالم بأسرها. فبهذا يسهل تسكينه. لأن القناعة بالقليل لنيل الكثير؛ لخير من إطلاق العنان فى القليل مع الحرمان من كل شىء، والمقام فى العذاب.

وعليكم أن تتذكروا الغنى صاحب الولائم لكى تصوموا جيداً. لأنه لما أراد هنا على الأرض أن يتنعم كل يوم؛ حرم إلى الأبد من قطرة واحدة من

الماء بينا أن لعازر إذ قنع بالفتات هنا على الأرض سيعيش إلى الأبد فى بحبوحة من ملاذ الجنة. ولكن ليكن التائب متيقظاً. لأن الشيطان يحاول أن يبطل كل عمل صالح ويخص عمل التائب أكثر مما سواه. لأن التائب قد عصاه وانقلب عليه عدوا عنيداً بعد أن كان عبداً أميناً. فلذلك يحاول الشيطان أن يحمله على عدم الصوم فى حال من الأحوال بشبهة المرض فإذا لم يغن هذا أغراه بالغلو فى الصوم حتى ينتابه مرض فيعيش بعد ذلك متنعماً. فإذا لم يفلح فى هذا حاول أن يجعله يقصر صومه على ترك الطعام الجسدى حتى يكون مثله لا يأكل شيئاً ولكنه يرتكب الخطيئة على الدوام. لعمر الله إنه لمقوت أن يحرم المرء الجسد من الطعام ويملأ النفس كبرياء محتقراً الذين لا يصومون وحاسباً نفسه أفضل منهم. قولوا لى: أيفاخر المريض بطعام الحمية مجانين؟ لا ألبتة. بل يحزن للمرض الذى اضطر بسببه إلى الاقتصار على طعام الحمية. إننى أقول لكم: إنه لا يجب على التائب أن يفاخر بصومه ويحتقر الذين لا يصومون. بل يجب عليه أن يحزن للخطيئة التى يصوم لأجلها. ولا يجب على التائب الذى يصوم أن يتناول طعاماً شهياً للكلب الذى يعض وللفرس الذى يرفس؟ ألبتة بل الأمر بالعكس. وليكن فى هذا كفاية لكم فى شأن الصوم.

أصيخوا السمع إذاً لما سأقوله لكم بشأن السهر. إنه لما كان قسمين أى نوم الجسد ونوم النفس وجب عليكم أن تحذروا فى السهر كى لا تنام النفس والجسد ساهر. إن هذا يكون خطأ فاحشاً جداً.

ما قولكم فى هذا المثل؟

بينما كان إنسان ماشياً اصطدم بصخر فلكى يتجنب أن تصدم به رجله أكثر من ذلك صدمه برأسه. فما هى حال رجل كهذا؟ أجاب التلاميذ: إنه تعيس فإن رجلاً كهذا مصاب بالجنون. فقال حينئذٍ يسوع: حسناً أجبتم فإنى أقول لكم حقاً: إن من يسهر بالجسد وينام بالنفس لمصاب بالجنون. وكما أن المرض الروحى أشد صعوبة. أفيفاخر إذاً تعيس كهذا بعدم النوم بالجسد الذى هو رجل الحياة بينا هو لا يرى شقاءه فى أنه ينام بالنفس

التى هى رأس الحياة؟ إن نوم النفس هو نسيان الله ودينونته الرهيبة. فالنفس التى تسهر إنما هى التى ترى الله فى كل شىء عالمة أنها دائماً فى كل شىء وفى كل مكان وتشكر جلالته فى كل شىء وعلى كل شىء وفوق كل شىء. عالمة أنها دائماً فى كل دقيقة تنال نعمة ورحمة من الله. فمن ثم يرن دائماً فى أذنها خشية من جلالته ذلك القول الملكى: تعالى أيتها المخلوقات للدينونة لأن إلهك يريد أن يدينك. فإنها تلبث على الدوام فى خدمة الله. قولوا لى: **أتفضلون أن تروا بنور نجم أو بنور الشمس؟** أجاب أندراوس: بنور الشمس لا بنور النجم إذ لا نقدر بنور النجم أن نبصر الجبال المجاورة وبنور الشمس نبصر أصغر حبوب الرمل. لذلك نسير بخوف على نور النجم ولكنا بنور الشمس نسير باطمئنان.

أجاب يسوع: إننى أقول لكم: هكذا يجب عليكم أن تسهروا بالنفس بشمس العدل التى هى إلهنا ولا تفاخروا بسهر الجسد. وصحيح كل الصحة أنه يجب تجنب الرقاد الجسدى جهد الطاقة إلا أن منعه ألبتة محال لأن الحس والجسد مثقلان بالطعام والعقل بالمشاغل. لذلك يجب على من يريد أن يرقد قليلاً أن يتجنب فرط المشاغل وكثرة الطعام. لعمر الله الذى فى حضرته تقف نفسى إنه يجوز الرقاد قليلاً كل ليلة إلا أنه لا يجوز أبداً الغفلة عن الله ودينونته الرهيبة. وما رقاد النفس إلا هذه الغفلة.

حينئذ أجاب من يكتب: يا معلم كيف يمكن لنا أن نتذكر الله على الدوام؟ إنه ليلوح لنا أن هذا محال. فقال يسوع متنهداً: إن هذا لأعظم شقاء يكابده الإنسان يا برنابا لأن الإنسان لا يقدر هنا على الأرض أن يذكر الله خالقه على الدوام. إلا الأطهار فإنهم يذكرون الله على الدوام لأن فيهم نور نعمة الله حتى لا يقدرون أن ينسوا الله. ولكن قولوا لى: أرأيتم الذين يشتغلون بالحجارة المستخرجة من المقالع كيف تعودوا بالتمرن المستمر أن يضربوا حتى أنهم يتكلمون وهم طول الوقت يضربون بالآلة الحديدية فى الحجر دون أن ينظروا إليها ومع ذلك لا يصيبون أيديهم؟ فافعلوا إذاً أنتم كذلك. ارغبوا فى أن تكونوا أطهاراً إذا أحببتم أن تتغلبوا تماماً على شقاء

الغفلة. ومن المؤكد أن الماء يشق أقوى الصخور بقطرة واحدة يتكرر وقوعها عليها زمناً طويلاً. أتعلمون لماذا لم تتغلبوا على هذا الشقاء؟ لأنكم لم تدركوا أنه خطيئة. لذلك أقول لكم: إن من الخطأ أيها الإنسان أن يهبك أمير هبة فتغمض عنه عينيك وتوليه ظهرك. هكذا يخطئ الذين يغفلون عن الله. لأن الإنسان ينال كل حين هبات ونعمة من الله.

ألا فقولوا لى: ألا ينعم الله عليكم كل حين؟ بلى حقاً فإنه يجود عليكم دوماً بالنفَس الذى به تحيون. الحق أقول لكم: إنه يجب على قلبكم أن يقول كلما تنفس جسدكم: الحمد لله. حينئذٍ قال يوحنا: إن ما تقوله لهو الحق كل الحق يا معلم **فعلمنا الطريق لبلوغ هذه الحال السعيدة**. أجاب يسوع: الحق أقول لك: إنه لا يتاح لأحد بلوغ هذه الحال بقوى بشرية بل برحمة الله ربنا. ومن المؤكد أنه يجب على الإنسان أن يشتهى الصالح ليهبه الله إياه. قولوا لى: أتأخذون وأنتم على المائدة الأطعمة التى تأتفون من النظر إليها؟ لا ألبتة. كذلك أقول لكم: إنكم لا تنالون ما لا تشتهون. إن الله لقادر إذا اشتهيتم الطهارة أن يجعلكم طاهرين فى أقل من طرفة عين. ولكن إلهنا يريد أن ننظر ونطلب لكى يشعر الإنسان بالهبة والواهب. أرأيتم الذين يتمرنون على رمى هدف؟ حقاً إنهم ليرمون مراراً متعددة عبثاً. وكيفما كانت الحال فهم لا يرغبون مطلقاً أن يرموا عبثاً ولكنهم يؤملون دوماً أن يصيبوا الهدف. فافعلوا هكذا أنتم الذين تشتهون دوماً أن تذكروا الله.

ومتى غفلتم فنوحوا لأن الله سيهبكم نعمة لتبلغوا كل ما قد قلته. إن الصوم والسهر الروحى متلازمان حتى أنه إذا أبطل أحد السهر؛ بطل الصوم تواً. لأن الإنسان بارتكاب الخطيئة يبطل صوم النفس ويغفل عن الله. وهكذا فإن السهر والصوم من حيث النفس لا زمان دوماً لنا ولسائر الناس. لأنه لا يجوز لأحد أن يخطئ. أما صوم الجسد وسهره؛ فصدقونى أنهما غير ممكنين فى كل حين ولا لكل شخص. لأنه يوجد مرضى وشيوخ وحبالى وقوم مقصورون على طعام الحمية وأطفال وغيرهم من أصحاب البنية الضعيفة. وكما أن كل أحد يلبس بحسب قياسه الخاص؛ هكذا يجب

عليه أن يختار صومه. لأنه كما أن أثواب الطفل لا تصلح لرجل ابن ثلاثين سنة هكذا لا يصلح صوم أحد وسهره لآخر.

ولكن احذروا من الشيطان أن يوجه كل قوته لأن تسهروا فى أثناء الليل ثم تناموا بعد ذلك على حين يجب عليكم بوصية الله أن تصلوا وتصغوا إلى كلمة الله. قولوا لى: أترضون أن يأكل أحد أصدقائكم اللحم ويعطيكم العظام؟ أجاب بطرس: لا يا معلم لأن مثل هذا لا يجب أن يسمى صديقاً بل مستهزئاً. فأجاب يسوع بتنهد: إنك لقد نطقت بالحق يا بطرس لأن من يسهر بالجسد أكثر مما يلزم وهو نائم أو مثقل رأسه بالنعاس على حين يجب عليه أن يصلى أو يصغى إلى كلام الله فمثل هذا التعيس حقاً يستهزئ بالله خالقه ويكون مرتكباً هذه الخطيئة. وعلاوة على ذلك فهو لص لأنه يسرق الوقت الذى يجب أن يعطيه لله ويصرفه عند ما وبقدر ما يريد.

كان رجل يسقى أعداءه من إناء فيه أطيب خمره إذ كانت الخمر على أجودها ثم لما صارت الخمر حثالة سقى سيده. فماذا تظنون السيد يفعل بعبده عندما يعرف كل شئ والعبد أمامه؟ حقاً إنه ليضربه ويقتله بغيظ عادل جرياً على شرائع العالم. فماذا يفعل الله إذاً بالرجل الذى يصرف أفضل وقته فى المشاغل وأرداه فى الصلاة ومطالعة الشريعة؟ ويل للعالم لأن قلبه مثقل بهذه الخطيئة وبما هو أعظم منها. لذلك لما قلت لكم: إنه يجب أن ينقلب الضحك بكاء والولائم صوماً والرقاد سهراً؛ جمعت فى كلمات ثلاث كل ما قد سمعتموه. وهو أنه يجب على المرء هنا على الأرض أن يبكى دوماً، وأن البكاء يجب أن يكون من القلب لأن الله تعالى خالقنا مستاء. وأنه يجب عليكم أن تصوموا لكى تكون لكم سلطة على الحس. وأن تسهروا لكى لا تخطئوا. وأن البكاء الجسدى والصوم والسهر الجسديين يجب أن يكونوا بحسب بنية الأفراد»

* * *

المثال الخامس عشر:

تبارك الله رب العالمين

أولاً: نص التوراة:

«إن آلهة الأمم فضة وذهب. عمل أيديهم. لها أعين ولا تبصر، ولها آذان ولا تسمع، لها مناخر ولا تشم. لها فم ولا تأكل، لها لسان ولا تنطق، لها أيد ولا تلمس، لها أرجل ولا تمشى» (مز ١١٥: ٤ - ٨)

ثانياً: نص الإنجيل:

«وانصرف[١] يسوع من البرية ودخل أورشليم. فأسرع من ثم الشعب كله إلى الهيكل ليراه. فبعد قراءة المزامير ارتقى يسوع الدكة التى كان يرتقيها الكتبة. وبعد أن أشار بعد إيماء للصمت قال: أيها الإخوة تبارك اسم الله القدوس الذى خلقنا من طين الأرض لا من روح ملتهب. لأنه متى أخطأنا وجدنا رحمة عند الله لن يجدها الشيطان أبداً. لأنه لا يمكن إصلاحه بسبب كبريائه إذ يقول: إنه شريف دوماً لأنه روح ملتهب. هل سمعتم أيها الإخوة ما يقول أبونا داود عن إلهنا[٢] أنه يذكر أننا تراب وأن روحنا تمضى فلا تعود أيضاً فلذلك رحمنا؟ طوبى للذين يعرفون هذه الكلمات لأنهم لا يخطئون إلى ربهم إلى الأبد. فإنهم بعد أن يخطئوا يتوبون فلذلك لا تدوم خطيئتهم. ويل للمتغطرسين لأنهم سيذلون فى جمرات الجحيم.

قولوا لى أيها الإخوة: ما هو سبب الغطرسة؟ أيتفق أن يوجد صلاح على الأرض؟ لا ألبتة لأنه كما يقول سليمان[٣] نبى الله: إن كل ما تحت الشمس لباطل. ولكن إذا كانت أشياء العالم لا تسوغ لنا الغطرسة بقلبنا فبالأحرى أن لا تسوغه حياتنا. لأنها مثقلة بشقاء كثير لأن كل الحيوانات التى هى دون الإنسان تقاتلنا. ما أكثر الذين قتلهم الصواعق والبرد. ما أكثر الذين غرقوا فى البحر بعصف الرياح. ما أكثر الذين ماتوا من الوباء

---

(١) برنابا ١٢٧: ١ .. (٢) مز ١٠٢: ١٤ - ١٧. (٣) جا ١: ٢.

والجوع أو لأن الوحوش الضارية قد افترستهم أو نهشتهم الأفاعى أو خنقهم الطعام. ما أتعس الإنسان المتغطرس إذ أنه يرزح تحت أحمال ثقيلة وتقف له فى كل موضع جميع الخلائق بالمرصاد. ولكن ماذا أقول عن الجسد والحس اللذين لا يطلبان إلا الإثم. وعن العالم الذى لا يقدم إلا الخطيئة. وعن الشرير الذى لما كان يخدم الشيطان يضطهد كل من يعيش بحسب شريعة الله؟

ومن المؤكد أيها الإخوة أن الإنسان - كما يقول داود - لو تأمل الأبدية بعينه لما أخطأ. ليس تغطرس الإنسان بقلبه سوى إقفال رأفة الله ورحمته حتى لا يعود يصفح. لأن أبانا داود يقول[1]: إن إلهنا يذكر أننا لسنا سوى تراب وأن أرواحنا تمضى ولا تعود أيضاً. فمن تغطرس إذاً أنكر أنه تراب وعليه فلما كان لا يعرف حاجته فهو لا يطلب عوناً فيغضب الله معينه. لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته إن الله يعفو عن الشيطان لو عرف الشيطان شقاءه وطلب رحمة من خالقه المبارك إلى الأبد.

لذلك أقول لكم أيها الإخوة: إننى أنا الذى هو إنسان تراب وطين يسير على الأرض أقول لكم: جاهدوا أنفسكم واعرفوا خطاياكم. أقول أيها الإخوة: إن الشيطان ضللكم بواسطة الجنود الرومانية عندما قلتم: إننى أنا الله. فاحذروا من أن تصدقوهم لأنهم واقعون تحت لعنة الله وعابدون الآلهة الباطلة الكاذبة كما استنزل أبونا داود[2] لعنة عليهم قائلاً:

إن آلهة الأمم فضة وذهب. عمل أيديهم. لها أعين ولا تبصر ولها أيدٍ ولا تلمس لها أرجل ولا تمشى.

لذلك قال داود[3] أبونا ضارعاً إلى إلهنا الحى: مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها. يا لكبرياء لم يسمع بمثلها كبرياء الإنسان الذى ينسى حاله ويود أن يصنع إلهاً بحسب هواه مع أن الله خلقه من تراب. وهو بذلك يستهزئ بالله بهدوء كأنه يقول: لا فائدة من عبادة الله. لأن هذه ما تظهره

(١) مز ١٠٣: ١٤ - ١٥.   (٢) مز ١١٥: ٤ - ٨.   (٣) مز ١١٥: ٨.

أعمالهم. إلى هذا أراد الشيطان أن يوصلهم أيها الإخوة. **حملهم على التصديق بأنني أنا الله. فإني وأنا لا طاقة لي أن أخلق ذبابة بل إني زائل وفان لا أقدر أن أعطيكم شيئاً نافعاً لأني أنا نفسي في حاجة إلى كل شيء. فكيف أقدر إذاً أن أعينكم في كل شيء كما هو شأن الله أن يفعل. أفنستهزئ إذاً وإلهنا هو الإله العظيم الذي خلق بكلمته الكون والأمم وآلهتهم؟**

صعد رجلان إلى الهيكل هنا ليصليا[1] أحدهما فريسي والآخر عَشّار. فاقترب الفريسي من المقدس وصلى رافعاً وجهه قائلاً: أشكرك أيها الرب إلهي لأني لست كباقي الناس الخطاة الذين يرتكبون كل إثم. ولا مثل هذا العشار. خصوصاً لأني أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه. أما العشار فلبث واقفاً على بعد منحنياً إلى الأرض. وقال مطرقاً برأسه قارعاً صدره: يا رب إنني لست أهلاً أن أتطلع إلى السماء ولا إلى مقدسك لأني أخطأت كثيراً فارحمني. الحق أقول لكم: إن العشار نزل من الهيكل أفضل من الفريسي لأن إلهنا برره غافراً له خطاياه كلها. أما الفريسي فنزل وهو على حال أردأ من العشار. لأن إلهنا رفضه ماقتاً أعماله.

أتفخر الفأس[2] مثلاً لأنها قطعت حرجة حيث صنع إنسان بستاناً؟ لا ألبتة لأن الإنسان صنع كل شيء بيديه حتى الفأس. وأنت أيها الإنسان أتفتخر أنك فعلت شيئاً حسناً وأنت قد خلقك إلهنا من طين ويعمل فيك كل كل ما تأتيه من صلاح؟ ولماذا تحتقر قريبك؟ ألا تعلم أنه لولا حفظ الله إياك من الشيطان لكنت شراً من الشيطان؟ ألا تعلم أن خطيئة واحدة مسخت أجمل ملاك شيطان شر مكروه؟ وأنها قد حولت أكمل إنسان جاء إلى العالم وهو آدم مخلوقاً شقياً وجعلته عرضة لما نكابد نحن وسائر ذريته. فأي إذن لك يخولك حق المعيشة بحسب هواك دون أدنى خوف؟ ويل لك أيتها الطِّينة لأنك بتغطرسك على الله الذي خلقك؛ ستحقرين تحت قدمي الشيطان الذي هو واقف لك بالمرصاد».

* * *

(١) لو ١٨: ١٠ ـ ١٤. (٢) إش ١٠: ١٥.

المثال السادس عشر:

القتال فى سبيل الله

أولاً: نص التوراة:

أ - «ثمين فى نظر الرب موت الطاهرين» (مز ١١٦: ١٥)

ب - «إن الخاطئ ليموتن شر ميتة» (مز ١٠٤: ٣٥)

ثانياً: نص الإنجيل:

«صدقونى[١] أيها القوم أنى جئت إلى العالم بامتياز لم يعط إلى بشر حتى أنه لم يعط لرسول الله لأن إلهنا لم يخلق الإنسان ليبقيه فى العالم بل ليضعه فى الجنة. ومن المحقق أن من لا أمل له فى أن ينال شيئاً من الرومانيين لأنهم من شريعة غريبة عنه لا يريد أن يترك وطنه وكل ما عنده ويذهب ليتوطن رومية على أن لا يعود. ويكون ميله إلى ذلك أقل جداً إذا هو أغاظ قيصر. فالحق أقول لكم: إنه هكذا يكون.وسليمان نبى الله يصرخ معى: ما أمر ذكراك أيها الموت للذين يتنعمون فى ثرواتهم. إنى لا أقول هذا لأن على أن أموت الآن. وإنى عالم بأن سأحيا إلى نحو منتهى العالم[٢]. ولكن أكلمكم بهذا لكى تتعلموا كيف تموتون. لعمر الله إذا أسيىء عمل شىء ولو مرة دل على أنه لابد من التمرن عليه إذا أريد إتقانه. أرأيتم كيف تتمرن الجنود فى زمن السلم بعضهم مع بعض كأنهم يتحاربون. كيف يتاح لمن يتعلم كيف يحسن الموت أن يموت ميتة صالحة؟. قال النبى داود[٣]: ثمين فى نظر الرب موت الطاهرين. أتدرون لماذا؟. إنى أفيدكم. إنه لما كانت الأشياء النادرة ثمينة وكان موت الذين يحسنون الموت نادراً كان ثميناً فى نظر الله

---

(١) برنابا ١٤٠: ١..

(٢) منتهى العالم عند اليهود: هو نهاية زمن بركة إسحق وبدء بركة إسماعيل. وحياة المسيح إلى منتهى العالم: هو أسلوب كنائى عن حياته فى بقاء إنجيله فى يدى تلاميذه ليعرف بمحمد ﷺ فالحياة مجاز عن الإنجيل الذى يحل محله وينوب عنه.

(٣) مز ١١٦: ١٥.

خالقنا. فمن المؤكد أنه متى شرع المرء فى أمر لا يريد أن ينجزه فقط ولكنه يكدح حتى يكون لغرضه نتيجة حسنة. يا لك من رجل شقى يفصل سراويله على نفسه. لأنه عندما يفصل القماش يقيسه جيداً قبل تفصيله ومتى فصله خاطه باعتناء. أما حياته التى ولدت لتموت. إذ لا يموت إلا من يولد. فلماذا لا يقيسها الإنسان بالموت؟ أرأيتم البنائين كيف لا يضعون حجراً إلا والأساس نصب عيونهم فيقيسونه ليروا إذا كان مستقيما لكيلا يسقط الجدار؟ يا له من رجل تعيس لأن بنيان حياته سيتهدم شر تهدم لأنه لا ينظر إلى أساس الموت.

قولوا لى: كيف يولد الإنسان متى ولد؟ حقاً إنه يولد عرياناً. وأى جدوى له متى وسّد ميتاً تحت الثرى؟ ليس سوى خرقة يلف بها. وهذا هو الجزاء الذى يعطيه إياه العالم. فإذا كان يجب فى كل عمل أن تكون الوسيلة على نسبة إلى البداية والنهاية ليمكن إيصال العمل إلى نهاية حسنة؛ فما عسى أن تكون نهاية الإنسان الذى يشتهى الثروة العالمية؟ إنه ليموت كما يقول داود[1] نبى الله: إن الخاطئ ليموتن شر ميتة. إذا حاول خياط أن يدخل جذوعاً فى سم إبرة بدلاً من خيط فما يكون مصير عمله؟ إنه ليحاول عبثاً وجيرانه يزدرون به. فالإنسان لا يرى أنه فاعل هذا على الدوام وهو يجمع الخيرات الأرضية. لأن الموت هو الإبرة التى لا يمكن إدخال جذوع الخيرات الأرضية فى سمها. ومع ذلك فهو بجنونه يحاول على الدوام أن يفلح فى عمله ولكن عبثاً.

ومن لا يصدق هذا فى كلامى فليتفرس فى القبور لأنه هناك يجد الحق. فمتى أراد أن يبرز فى الحكمة على من سواه فى خوف الله فليطالع كتاب القبر. لأنه هناك يجد التعليم الحقيقى لخلاصه. فإنه متى رأى أن جسد الإنسان يحفظ ليكون طعاماً للديدان. تعلم أن يحذر العالم والجسد والحس.

---

(١) مز ١٠٤: ٣٥.

قولوا لي: إذا كان هنالك طريق على حال يكون إذا سار معها المرء في الوسط سار أمناً فإذا سار على الجانبين شج رأسه. فماذا تقولون إذا رأيتم الناس يختصمون ويتبارون ليكونوا أقرب إلى الجانب ويقتلوا أنفسهم؟ ما أشد ما يكون عجبكم. حقاً إنكم تقولون: إنهم لمعتوهون ومجانين وإنهم إذا لم يكونوا مجانين فإنما هم بائسون. أجاب التلاميذ: إن ذلك لصحيح. حينئذٍ بكى يسوع وقال: إن عشاق العالم إنما هم لكذلك. لأنهم لو عاشوا بحسب العقل الذي اتخذ موضعاً متوسطاً في الإنسان لاتبعوا شريعة الله وخلصوا من الموت الأبدي. ولكنهم جنوا وأصبحوا أعداءً عتاة لأنفسهم لأنهم يتبعون الجسد والعالم مجتهدين في أن يعيش كل منهم أشد غطرسة وفجورا من الآخر»

* * *

المثال السابع عشر:

القضاء والقدر

تمهيد:

بين المسيح عيسى عليه السلام بنصوص كثيرة من التوراة أن الإنسان مخير لا مسير. والنصوص التي استدل بها كثيرة. لذلك نذكر نص كلامه. والنصوص التي استدل بها؛ نذكر أماكنها في الهامش.

نص الإنجيل:

«قال[1] يسوع: أيخيل لكم أن الله قد خلق رسوله ليكون نداً له يريد أن يجعل نفسه مساوياً لله؟ كلا ثم كلا. بل عبده الصالح الذي لا يريد ما لا يريده الله. وإنكم لا تقدرون أن تفقهوا هذا لأنكم لا تعرفون ما هي الخطيئة. فأصيخوا السمع لكلامي. الحق الحق أقول لكم: إن الخطيئة لا يمكن أن تنشأ في إنسان إلا مضادة لله. إذ ليست الخطيئة إلا ما لا يريده

(١) برنابا ١٥٩: ١..

الله. فإن كل ما يريده أجنبى عن الخطيئة. فلو اضطهدنى رؤساء الكهنة والكهنة مع الفريسيين لأن شعب إسرائيل دعانى إلهاً لفعلوا شيئاً يرضى به الله ولكافأهم الله. ولكن الله مقتهم لأنهم يضطهدونى لسبب مضاد وهو أنهم لا يريدون أن أقول الحق. وكم قد أفسدوا بتقليدهم كتاب موسى وكتاب داود نبيى الله وخليله. وإنهم لهذا يكرهوننى ويودون موتى.

إن موسى قتل ناساً وأخآب قتل ناساً. قولوا لى: أيعد هذا قتلاً من كليهما؟ لا ألبتة. لأن موسى قتل الناس ليبيد عبادة الأصنام وليبقى على عبادة الإله الحقيقى. ولكن أخآب قتل ناسا ليبيد عبادة الإله الحقيقى وليبقى على عبادة الأصنام. لذلك تحول قتل موسى للناس ضحية على حين تحول قتل أخآب تدنيساً. فإن ذات العمل الواحد أحدث نتيجتين متضادتين. لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته لو كلم الشيطان الملائكة ليرى كيف أحبوا الله لما رذله الله. ولكنه منبوذ لأنه حاول أن يبعدهم عن الله.

حينئذ أجاب الذى يكتب: فكيف يجب إذا أن يفهم ما قيل فى ميخا النبى بشأن الكذب الذى أمر الله الأنبياء الكذبة أن يتفوهوا به. كما هو مكتوب فى كتاب ملوك إسرائيل؟ أجاب يسوع: اتل يا برنابا بالاختصار كل ما حدث لترى الحق جلياً.

حينئذ قال الذى يكتب: إن دانيآل[1] النبى لما وصف تاريخ ملوك إسرائيل وطغيانهم كتب هكذا: اتحد ملك إسرائيل مع ملك يهوذا ليحاربا بنى بليعال أى المنبوذين الذين كانوا العمونيين. ولما كان يهوشافاط ملك يهوذا وأخآب ملك إسرائيل جالسين كلاهما على عرش فى السامرة وقف أمامهم أربع مئة نبى كذاب. فقالوا لملك إسرائيل: اصعد ضد العمونيين لأن الله سيدفعهم إلى يديك وستبدد عمون. حينئذ قال يهوشافاط: هل يوجد نبى هنا لإله آبائنا؟ أجاب أخآب: يوجد واحد فقط شرير لأنه دائماً يتنبأ بالشر على. ولقد وضعته فى السجن. وهو إنما قال يوجد واحد فقط لأن كل الذين وجدوا قتلوا بأمر أخآب. حتى أن الأنبياء كما قلت يا معلم هربوا إلى رءوس الجبال حيث لا يسكن بشر.

(١) ١ مل ٢٢: ٣ - ٣١.

حينئذٍ قال يهوشافاط: أحضره إلى هنا ولنر ما يقول. لذلك أمر أخآب أن يحضر ميخا إلى هناك. فأتى بقيود فى رجليه ووجهه مضطرب كشخص يعيش بين الموت والحياة. فسأله أخآب قائلاً: تكلم يا ميخا باسم الله. أنصعد ضد العمونيين؟ أيدفع الله مدنهم إلى أيدينا؟ أجاب ميخا: اصعد اصعد. لأنك ستصعد مفلحاً وتنزل أشد فلاحاً. حينئذٍ أطرى الأنبياء الكذبة ميخا قائلين: إنه نبى صادق لله، وكسروا القيود من رجليه. أما يهوشافاط الذى كان يخاف إلهنا ولم يحن ركبتيه قط للأصنام. فإنه سأل ميخا قائلاً: قل الحق يا ميخا إكراماً لإله آبائنا كما رأيت عقبى هذه الحرب. أجاب ميخا: إنى لا أخشى وجهك يا يهوشافاط لذلك أقول لك: إنى رأيت شعب إسرائيل كغنم لا راعى لها. حينئذٍ قال أخآب مبتسماً ليهوشافاط: لقد أخبرتك أن هذا الرجل لا يتنبأ إلا بسوءٍ ولكنك لم تصدق ذلك.

فقال حينئذٍ كلاهما: كيف تعلم هذا يا ميخا؟ أجاب ميخا: خيّل إلىّ أن قد التأمت ندوة من الملائكة فى حضرة الله. وسمعت الله يقول هكذا: من يغوى أخآب ليصعد ضد عمون ويقتل؟ فقال واحد شيئاً وقال آخر شيئاً آخر. ثم أتى ملاك فقال: يا رب أنا أحارب أخآب فأذهب إلى أنبيائه الكذبة وألقى كذباً فى أفواههم وهكذا يصعد ويقتل. فلما سمع الله هذا قال: اذهب وافعل هكذا فإنك تفلح.

فحنق حينئذٍ الأنبياء الكذبة. فصفع رئيسهم خد ميخا قائلاً: يا منبوذ الله متى عبر ملاك الحق من عندنا وجاء إليك؟ قل لنا متى جاء إلينا الملاك الذى حمل الكذب؟ أجاب ميخا: إنك ستعرف متى هربت من بيت إلى بيت خوفاً من القتل أنك قد أغويت ملكك. فتغيظ حينئذٍ أخآب وقال: أمسكوا ميخا وضعوا القيود التى كانت فى رجليه على عنقه وأقصروه على خبز الشعير والماء إلى حين عودتى. لأنى لا أعرف الآن بأية ميتة أنكل به. فصعدوا وتم الأمر حسب كلمة ميخا. لأن ملك العمونيين قال لخدمه: احذروا أن تحاربوا ملك يهوذا أو عظماء إسرائيل بل اقتلوا عدوى أخآب ملك إسرائيل. حينئذٍ قال يسوع: قف ههنا لأنه يكفى لغرضنا.

فقال يسوع: أسمعتم كل شيء؟. أجاب التلاميذ: نعم يا سيد. فقال من ثم يسوع: إن الكذب خطيئة ولكن القتل خطيئة أعظم. لأن الكذب خطيئة تختص بالذى يتكلم. ولكن القتل على كونه يختص بالذى يرتكبه هو يهلك أيضاً أعز شيء لله هنا على الأرض. أى الإنسان. ويمكن مداواة الكذب بقول ضد ما قد قيل على حين لا دواء للقتل لأنه ليس بممكن منح الميت حياة. قولوا لى إذاً: هل أخطأ موسى عبد الله بقتل كل الذين قتلهم؟ أجاب التلاميذ: حاش لله أن يكون موسى قد أخطأ بطاعته لله الذى أمره. فقال حينئذ يسوع: وأنا أقول: حاش لله أن يكون قد أخطأ ذلك الملاك الذى خدع أنبياء أخآب الكذبة بالكذب. لأنه كما أن الله يقبل قتل الناس ذبيحة فهكذا قبل الكذب حمداً. الحق أقول لكم: كما يغلط الطفل الذى يصنع حذاءه بقياس رجلى جبار؛ هكذا يغلط من يجعل الله خاضعاً للشريعة، كما أنه هو نفسه خاضع لها من حيث هو إنسان. فمتى اعتقدتم أن الخطيئة إنما هى ما لا يريده الله تجدون حينئذ الحق كما قلت لكم. وعليه لما كان الله غير مركب وغير متغير فهو أيضاً غير قادر أن يريد وأن لا يريد الشيء الواحد. لأنه بذلك يصير تضاد فى نفسه يترتب عليه ألم، ولا يكون مباركاً إلى ما لا نهاية له.

أجاب فيلبس: ولكن كيف يجب فهم قول النبى عاموس[1] إنه لا يوجد شر فى المدينة لم يصنعه الله؟. أجاب يسوع: انظر الآن يا فيليبّس ما أشد خطر الاعتماد على الحرف كما يفعل الفريسيون الذين قد انتحلوا لأنفسهم اصطفاء الله للمختارين على طريقة يستنتجون منها فعلاً أن الله غير بار وأنه مخادع وكاذب ومبغض للدينونة التى ستحل بهم. لذلك أقول: إن عاموس نبى الله يتكلم هنا عن الشر الذى يسميه العالم شراً. لأنه لو استعمل لغة الأبرار لما فهمه العالم. لأن كل البلايا حسنة. إما حسنة لأنها تظهر الشر الذى فعلناه. وإما حسنة لأنها تمنعنا عن ارتكاب الشر. وإما حسنة لأنها تعرف الإنسان حال هذه الحياة لكى نحب ونتوق إلى الحياة

(١) عا ٣:٦.

الأبدية. فلو قال النبى عاموس: ليس فى المدينة من خير إلا كان الله صانعه لكان ذلك وسيلة لقنوط المصابين متى رأوا أنفسهم فى المحن والخطأة فى سعة من العيش. وأنكى من ذلك أنه متى صدق كثيرون أن للشيطان سلطة على الإنسان خافوا الشيطان وخدموه تخلصاً من البلايا. فلذلك فعل عاموس ما يفعله الترجمان الرومانى الذى لا ينظر فى كلامه كأنه يتكلم فى حضرة رئيس الكهنة بل ينظر إلى إرادة ومصلحة اليهودى الذى لا يعرف التكلم باللسان العبرانى.

لو قال عاموس: ليس فى المدينة من خير إلا كان الله صانعه لكان لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته قد ارتكب خطأ فاحشاً. لأن العالم لا يرى خيراً سوى الظلم والخطايا التى تصنع فى سبيل الباطل. وعليه يكون الناس أشد توغلاً فى الإثم لأنهم يعتقدون أنه لا توجد خطيئة أو شر لم يصنعه الله وهو أمر تتزلزل لسماعه الأرض. وبعد أن قال يسوع هذا حصل تواً زلزال عظيم إلى حد سقط معه كل أحد كأنه ميت. فأنهضهم يسوع قائلاً: أنظروا الآن إذا كنت قد قلت لكم الحق. فليكفكم هذا إذاً. إنه لما قال عاموس إن الله صنع شراً فى المدينة مكلما العالم فهو إنما تكلم عن البلايا التى لا يسميها شراً إلا الخطأة.

ولنأت الآن على ذكر سبق الاصطفاء الذى تريدون أن تعرفوه والذى سأكلمكم عنه غداً على مقربة من الأردن على الجانب الآخر إن شاء الله.

وذهب يسوع مع تلاميذه إلى البرية وراء الأردن. فلما انقضت صلاة الظهيرة جلس بجانب نخلة وجلس تلاميذه تحت ظل النخلة. حينئذ قال يسوع: أيها الإخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أنى أقول لكم الحق: إنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحد فقط. **وهو الذى تتطلع إليه الأمم[1] الذى تتجلى له أسرار الله تجلياً فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم**. لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة. بلى إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية؛ هكذا تقى رحمة الله المؤمنين بذلك

(١) حج ٢: ٧.

الاسم من الشيطان.

أجاب التلاميذ: **يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى سيأتى إلى العالم؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله**. ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التى يأتى بها. كما يجعل المطر الأرض تعطى ثمراً بعد انقطاع المطر زمناً طويلاً. فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله. وهى رحمة ينثرها الله رذاذاً على المؤمنين كالغيث.

إنى أشرح لكم الآن ذلك النزر القليل الذى وهبنى الله معرفته بشأن سبق هذا الاصطفاء نفسه:

يزعم الفريسيون أن كل شىء قدر على طريقة لا يمكن معها لمن كان مختاراً أن يصير منبوذاً. ومن كان منبوذاً لا يتسنى له بأية وسيلة كانت أن يصير مختاراً. وأنه كما أن الله قدر أن يكون عمل الصلاح هو الصراط الذى يسير فيه المختارون إلى الخلاص هكذا قدر أن تكون الخطيئة هى الطريق الذى يسير فيه المنبوذون إلى الهلاك. لعن اللسان الذى نطق بهذا واليد التى سطرته لأن هذا إنما هو اعتقاد الشيطان. فيمكن للمرء على هذا أن يعرف شاكلة فريسى هذا العصر لأنهم خدمة الشيطان الأمناء. فماذا يمكن أن يكون معنى سبق الاصطفاء سوى أنه إرادة مطلقة تجعل للشىء غاية. وسيلة الوصول إليها فى يد المرء. فإنه بدون وسيلة لا يمكن لأحد تعيين غاية. فكيف يتسنى لأحد تقدير بناء بيت وهو لا يعوزه الحجر والنقود ليصرفها فقط بل يعوزه موطئ القدم من الأرض. لا أحد ألبتة.

فسبق الاصطفاء لا يكون شريعة الله بالأولى إذا استلزم سلب حرية الإرادة التى وهبها الله للإنسان بمحض جوده.

فمن المؤكد أننا نكون إذ ذاك آخذين فى إثبات مكرهة لا سبق اصطفاء.

أما كون الإنسان حراً فواضح من كتاب موسى لأن إلهنا عندما أعطى

الشريعة على جبل سيناء قال هكذا[1]: ليست وصيتى فى السماء لكى تتخذ لك عذراً قائلاً: من يذهب ليحضر لنا وصية الله؟. ومن يا ترى يعطينا قوة لنحفظها؟ ولا هى وراء البحر لكى تعد نفسك كما تقدم. بل وصيتى قريبة من قلبك حتى تحفظها متى شئت.

قولوا لى: لو أمر هيرودس شيخاً أن يعود يافعاً ومريضاً أن يعود صحيحاً ثم إذا هما لم يفعلا ذلك أمر بقتلهما أفيكون هذا عدلاً؟ أجاب التلاميذ: لو أمر هيرودس بهذا لكان أعظم ظالم وكافر. حينئذٍ تنهد يسوع وقال: أيها الإخوة ما هذه إلا ثمار التقاليد البشرية. لأنه بقولهما إن الله قدر فقضى على المنبوذ بطريقة لا يمكنه معها أن يصير مختاراً؛ يجدفون على الله كأنه طاغ وظالم. لأنه يأمر الخاطئ أن لا يخطئ وإذا أخطأ أن يتوب. على أن هذا القدر ينزع من الخاطئ القدرة على ترك الخطيئة فيسلبه التوبة بالمرة.

ولكن اسمعوا ما يقول الله على لسان يوئيل[2] النبى: لعمرى يقول إلهكم: لا أريد موت الخاطئ بل أود أن يتحول إلى التوبة. أيقدر الله إذاً ما لا يريده؟ تأملوا ما يقول الله وما يقول فريسيو الزمن الحاضر. يقول الله أيضاً على لسان النبى إشعياء[3]: دعوت فلم تصغوا إلى. وما أكثر ما دعا الله. اسمعوا ما يقول على لسان هذا النبى[4] نفسه: بسطت يدى طول النهار إلى شعب لا يصدقنى بل يناقضنى. فإذا قال فريسيونا: إن المنبوذ لا يقدر أن يصير مختاراً فهل يقولون سوى أن الله يستهزئ بالبشر كما لو استهزأ بأعمى يريه شيئاً أبيض وكما لو استهزأ بأصم يكلمه فى أذنيه؟

أما كون المختار يمكن أن ينبذ. فتأملوا ما يقول إلهنا على لسان حزقيال[5] النبى. يقول الله: لعمرى إذا رجع البار عن بره وارتكب الفواحش فإنه يهلك ولا أذكر فيما بعد شيئاً من بره فإن بره سيخذله أمامى فلا ينجيه وهو متكل عليه. أما نداء المنبوذين فماذا يقول الله فيه على لسان

(١) تث ٣٠: ١١ - ١٤. (٢) مز ١٨: ٢٣. (٣) إش ٦٥: ١٢.
(٤) إش ٦٥: ٢. (٥) حز ١٨: ٢٤.

هوشع[1] سوى هذا؟ إنى أدعو شعباً غير مختار فأدعوهم مختارين. إن الله صادق ولا يقدر أن يكذب. وأن الله لما كان هو الحق فهو يقول الحق. ولكن فريسى الوقت الحاضر يناقضون الله كل المناقضة بتعليمهم.

أجاب أندراوس: ولكن كيف يجب أن يفهم ما قال الله لموسى[2] من أنه يرحم من يرحم ويقسى من يقسى؟ أجاب يسوع: إنما يقول الله هذا لكيلا يعتقد الإنسان أنه خلص بفضيلته. بل ليدرك أن الحياة ورحمة الله قد منحهما له الله من جوده. ويقوله ليتجنب البشر الذهاب إلى أنه توجد آلهة أخرى سواه. فإذا هو قسّى فرعون فإنما فعله لأنه نكل بشعبنا وحاول أن يبغى عليه بإبادة كل الأطفال الذكور من إسرائيل حتى كاد موسى يخسر حياته. وعليه أقول لكم: حقاً إن أساس القدر إنما هو شريعة الله وحرية الإرادة البشرية. بل لو قدر الله أن يخلص العالم كله حتى لا يهلك أحد لما أراد أن يفعل ذلك. لكيلا يجرد الإنسان من الحرية التى يحفظها له ليكيد الشيطان حتى يكون لهذه الطينة التى امتهنها الروح الشيطان وإن أخطأت كما فعل الروح قدرة على التوبة والذهاب للسكن فى ذلك الموضع الذى طرد منه الروح. فأقول: إن إلهنا يريد أن تتبع رحمته حرية إرادة الإنسان. ولا يريد أن تترك قدرته غير المتناهية المخلوق. وهكذا لا يقدر أحد فى يوم الدين أن يعتذر عن خطاياه. لأنه يتضح له حينئذٍ كم فعل الله لتجديده وكم وكم قد دعاه إلى التوبة.

وعليه فإذا كانت أفكارهم لا تطمئن لهذا ووددتم أن تقولوا أيضاً: لماذا هكذا؟ فإنى أوضح لكم لماذا؟ وهو هذا: قولوا لى: لماذا لا يمكن للحجر أن يستقر على سطح الماء مع أن الأرض برمتها مستقرة على سطح الماء؟ قولوا لى: لماذا كان التراب والهواء والماء والنار متحدين بالإنسان ومحفوظين على وفاق؟ مع أن الماء يطفئ النار والتراب يهرب من الهواء حتى أنه لا يقدر أحد أن يؤلف بينهما. فإذا كنتم إذاً لا تفقهون هذا بل إن كل البشر من حيث هم بشر لا يقدرون أن يفقهوه؛ فكيف يفقهون أن الله خلق الكون من لا شئ

(١) هو ٢: ٢٣ و رو ٩: ٢٥. (٢) خر ٣٣: ١٩ و ٤: ٢١ و رو ٩: ١٨.

بكلمة واحدة؟ كيف يفقهون أزلية الله؟ حقاً لا يتاح لهم أبداً أن يفقهوا هذا. لأنه لما كان الإنسان محدوداً ويدخل فى تركيبه الجسد الذى هو كما يقول النبى سليمان[1] قابل للفساد بضغط النفس. ولما كانت أعمال الله مناسبة لله فكيف يمكن للإنسان إدراكها؟

فلما رأى إشعياء[2] نبى الله هذا صرخ قائلاً: حقاً إنك لإله محتجب. ويقول[3] عن رسول الله: كيف خلقه الله؟ أما جيله فمن يصفه؟. ويقول[4] عن عمل الله: من كان مشيره فيه؟ وعن. لذلك يقول الله للطبيعة البشرية[5]: كما تعلو السماء عن الأرض هكذا تعلو طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم. لذلك أقول لكم: إن كيفية القدر غير واضحة للإنسان وإن كان ثبوته حقيقياً كما قلت لكم. أفيجب إذاً على الإنسان أن ينكر الواقع لأنه لا يقدر أن يعرف كيفيته؟ حقاً إنى لم أجد أحداً يرفض الصحة وإن لم يمكن إدراك كيفيتها. لأنى لا أدرى حتى الآن كيف يشفى الله المرضى بواسطة لمسى»

* * *

المثال الثامن عشر:

وإن لك لأجرا غير ممنون

أولاً: نص التوراة:

أ ـ قال الله لإبراهيم: «إنى أكون جزاءك العظيم» (تك ١٥: ١)

ب ـ «إن الصدّيق يسقط سبع مرات فى اليوم» (مز ٣٤: ١٩ و ٣٧: ١٤ ومى ٧: ٨ وأى ٥: ١٩ وأم ٢٤: ١٦)

---

(١) حك ٩: ١٥. (٢) إش ٤٥: ١٥.
(٣) إش ٥٣: ٨. (٤) إش ٤٩: ١٣.
(٥) إش ٥٥: ٩.

ثانياً: نص الإنجيل:

«ولما[1] كان يسوع ذات يوم فى رواق سليمان دنا منه أحد فرقة الكتبة وهو أحد الذين يخطبون فى الشعب. وقال له: يا معلم لقد خطبت فى هذا الشعب مراراً عديدة وفى خاطرى آية من الكتاب أُشكل على فهمها. أجاب يسوع: وما هى قال الكاتب: هى ما قاله الله لإبراهيم أبينا: إنى أكون جزاءك العظيم[2]. فكيف يستحق الإنسان هذا الجزاء. فتهلل حينئذٍ يسوع بالروح[3] وقال: حقاً إنك لست بعيداً عن ملكوت الله[4]. أصخ السمع إلىَّ لأنى أفيدك معنى هذا التعليم. لما كان الله غير محدود، والإنسان محدوداً؛ لم يستحق الإنسان الله. فهل هذا موضع ريبتك أيها الأخ؟ أجاب الكاتب باكياً: يا سيد إنك تعرف قلبى. تكلم إذاً لأن نفسى تروم أن تسمع صوتك. فقال حينئذٍ يسوع: لعمر الله إن الإنسان لا يستحق النفس القليل الذى يأخذه كل دقيقة. فلما سمع الكاتب هذا؛ كاد يجن، واندهل كذلك التلاميذ لأنهم ذكروا ما قال يسوع[5]: إنهم مهما أعطوا فى حب الله يأخذون مئة ضعف. حينئذٍ قال: لو أقرضكم أحد مئة قطعة من الذهب فصرفتم هذه القطع. أفتقولون لذلك الإنسان: إنى أعطيك ورقة كرمة عفنة فأعطنى بها بيتك لأنى أستحقه؟ أجاب الكاتب: لا يا سيدى لأنه يجب عليه أن يدفع ما عليه ثم عليه إذا أراد شيئاً أن يعطى أشياء جيدة. ولكن ما نفع ورقة فاسدة؟

أجاب يسوع: لقد قلت حسناً أيها الأخ. فقل لى: من خلق الإنسان من لا شىء؟ من المؤكد أنه هو الله الذى وهبه العالم برمته لمنفعته. ولكن الإنسان قد صرفه كله لارتكاب الخطيئة. لأنه بسبب الخطيئة انقلب العالم ضداً للإنسان. سوى أعمال أفسدتها الخطيئة. لأنه بارتكابه الخطيئة كل يوم؛ يفسد عمله. لذلك يقول إشعياء[6] النبى: إن برّنا هو كخرقة حائض. فكيف يكون للإنسان استحقاق وهو غير قادر على الترضية؟ ألعل الإنسان لا يخطئ؟ من المؤكد إلهنا يقول على لسان نبيه داود[7]: إن الصديق يسقط

(١) برنابا ١٨٠: ١ .. (٢) تك ١٥: ١. (٣) لو ١٠: ٢١.
(٤) مر ١٢: ٣٤ و دا ٧: ١٣ - ١٤. (٥) مت ١٩: ٢٩.
(٦) إش ٣٠: ٢٢. (٧) أم ٢٤: ١٦.

سبع مرات فى اليوم. فكم مرة يسقط الفاجر إذاً؟ وإذا كان برنا فاسداً فكم يكون فجورنا ممقوتاً؟ لعمر الله إنه لا يوجد شىء يجب على الإنسان الإعراض عنه كهذا القول: إنى أستحق. ليعرف الإنسان أيها الأخ عمل يديه فيرى تواً استحقاق. حقاً إن كل عمل صالح يصدر عن الإنسان لا يفعله الإنسان بل إنما يفعله الله فيه. لأن وجوده من الله الذى خلقه. أما ما يفعله الإنسان فهو أن يخالف خالقه ويرتكب الخطيئة التى لا يستحق عليها جزاء بل عذاباً.

لم يخلق الله الإنسان كما قلت فقط بل خلقه كاملاً. ولقد أعطاه ملاكين ليحرساه. وبعث له الأنبياء. ومنحه الشريعة. ومنحه الإيمان. وينقذه كل دقيقة من الشيطان. ويريد أن يهبه الجنة بل أكثر من ذلك. فإن الله يريد أن يعطى نفسه للإنسان. فتأملوا إذاً فيما إذا كان الدَّين عظيماً. فليمحو هذه وجب عليكم أن تكونوا أنتم قد خلقتم الإنسان من العدم. وأن تكونوا قد خلقتم أنبياء بعدد ما بعث الله مع خلق عالم وجنة. بل أكثر من ذلك مع خلق إله عظيم وجواد كإلهنا. وأن تهبوها برمتها لله. فبهذا يمحى الدَّين ويبقى عليكم فرض تقديم الشكر لله فقط. ولكن لما كنتم غير قادرين على خلق ذبابة واحدة، ولما كان لا يوجد إلا إله واحد وهو سيد كل الأشياء فكيف تقدرون أن تمحوا دينكم؟ حقاً إن أقرضكم أحد مئة قطعة من الذهب؛ وجب عليكم أن تردوا مئة قطعة من الذهب.

وعليه فإن معنى هذا أيها الأخ هو أنه لما كان الله سيد الجنة وكل شىء يقدر أن يقول كل ما يشاء ويهب كل ما يشاء. لذلك لما قال لإبراهيم[1]: إنى أكون جزاءك العظيم لم يقدر إبراهيم أن يقول: الله جزائى. بل الله هبتى ودينى. لذلك يجب عليك أيها الأخ عندما تخطب فى الشعب أن تفسر هذه الآية هكذا: إن الله يهب الإنسان كذا وكذا من الأشياء إذا عمل الإنسان حسناً. متى كلمك الله أيها الإنسان وقال: إنك يا عبدى قد عملت حسناً حباً فىَّ؛ فأى جزاء تطلبه منى أنا إلهك؟ فأجب أنت: لما كنتُ يا رب عمل يديك فلا يليق أن يكون فىّ خطيئة وهو ما يحبه الشيطان. فارحم يا رب

(١) تك ١٥: ١.

لأجل مجدك أعمال يديك. فإذا قال الله: قد عفوت عنك وأريد الآن أن أجزيك. فأجب: يا رب أنا أستحق العقوبة لما فعلته وأنت تستحق لما فعلت أن تمجد. فعاقبنى يا رب على ما فعلت وخلّص ما قد صنعت. فإذا قال الله: ما هو العقاب الذى تراه معادلاً لخطيئتك؟ فأجب أنت: يا رب بقدر ما سيكابده كل المنبوذين. فإذا قال الله: لماذا تطلب يا عبدى الأمين عقوبة عظيمة كهذه؟ فأجب أنت: لو أخذ كل منها على قدر ما أخذت؛ لكانوا أشد إخلاصاً منى فى خدمتك. فإذا قال الله: متى تريد أن تصيبك هذه العقوبة؟ وكم تكون مدتها؟ فأجب أنت: الآن وإلى غير نهاية.

لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته إن رجلاً كهذا يكون مرضياً لله أكثر من كل ملائكته الأطهار. لأن الله يحب الاتضاع الحقيقى ويكره الكبرياء.

حينئذ شكر الكاتب يسوع وقال له: يا سيدى لنذهب إلى بيت خادمك لأن خادمك يقدم لك وللتلاميذ طعاماً. أجاب يسوع: إنى أذهب الآن إلى هناك متى وعدتنى أن تدعونى أخاً لا سيدا وتقول: إنك أخى لا خادمى. فوعد الرجل وذهب يسوع إلى بيته»

* * *

المثال التاسع عشر:

مثال حَجّى و هُوشَع

نص الإنجيل:

«فقال[1] حينئذ يسوع إن من يشهد لله بإخلاص قلب أن الله منشئ كل صلاح وأنه هو نفسه منشئ الخطيئة؛ يكون متضعاً. ولكن من يتكلم بلسانه كما يتكلم الولد ويناقضه بالعمل؛ فهو بالتأكيد ذو تواضع كاذب وكبرياء حقيقية. وإن الكبرياء تكون فى أوجها متى استخدمت الأشياء الوضيعة لكيلا توبخها الناس وتمتهنها. فالاتضاع الحقيقى هو مسكنة

(١) برنابا ١٨٤: ١..

النفس التى يعرف بها الإنسان نفسه بالحقيقة. ولكن الصفة الكاذبة إنما هى ضبابة من الجحيم تجعل بصيرة النفس مظلمة بحيث ينسب الإنسان إلى الله ما يجب عليه أن ينسبه إلى نفسه. وعليه فإن الرجل ذا الاتضاع الكاذب يقول إنه متوغل فى الخطيئة ولكن إذا قال له أحد إنه خاطئ؛ ثار حنقه عليه واضطهده.

ذو الاتضاع الكاذب يقول: إن الله أعطاه كل ماله ولكنه هو من جهة لم ينعس بل عمل أعمالاً صالحة. فقولوا لى أيها الإخوة: كيف يسير فريسيو الزمن الحاضر؟

أجاب الكاتب باكياً: يا معلم إن الفريسى الزمن الحاضر ثياب الفريسيين واسمهم. وما فى قلوبهم وأعمالهم سوى كنعانيين. ويا ليتهم لم يغتصبوا اسما كهذا فإنهم حينئذٍ لا يخدعون البسطاء. أيها الزمن القديم كم قد عاملتنا بقسوة إذ أخذت منا الفريسيين الحقيقيين وتركت لنا الكاذبين.

أجاب يسوع: أيها الأخ ليس الزمن هو الذى فعل هذا بل بالحرى العالم الشرير. لأن خدمة الله بالحق تمكن فى كل زمن. ولكن الناس يصيرون أردياء بالاختلاط بالعالم أى بالعوائد الرديئة فى كل زمن. ألا تعلم أن جيحزى[1] خادم أليشع النبى لما كذب وأخذ نقود نعمان السريانى وثوبه أورث سيده الخجل. ومع ذلك كان لأليشع عدد وافر من الفريسيين جعله الله يتنبأ لهم. الحق أقول لك: إنه قد بلغ من ميل الناس لعمل الشر ومن إغراء العالم لهم بذلك ومن إغواء الشيطان إياهم على الشر مبلغاً يعرض معه فريسيو الزمن الحاضر عن كل عمل صالح وكل قدوة طاهرة. وإن لفى مثال جيحزى كفاية لهم ليكونوا منبوذين من الله. أجاب الكاتب: إن ذلك لصحيح.

فقال من ثم يسوع: أريد أن تقص عليّ مثال حجى وهوشع نبى الله ليرى الفريسى الحقيقى. أجاب الكاتب: ماذا أقول يا معلم؟ حقاً إن كثيرين

(١) ٢ مل ٥: ٢٠.

لا يصدقون مع أنه مكتوب فى دانيال النبى ولكن إطاعة لك أقص الحقيقة:

كان حجى ابن خمس عشرة سنة عندما خرج من عند أناثوث ليخدم عوبديا النبى بعد أن باع إرثة ووهبه للفقراء. أما عوبديا الشيخ الذى عرف اتضاع حجى فاستعمله بمثابة كتاب يعلم به تلاميذه. فلذلك كان يكثر من تقديم الأثواب والأطعمة الفاخرة له. ولكن حجى كان دائماً يرد الرسول قائلاً: اذهب وعد إلى البيت لأنك ارتكبت خطأ. أفيرسل لى عوبديا أشياء كهذه؟ لا ألبتة لأنه يعرف أنى لا أصلح لشىء بل إنما أرتكب الخطيئة. ومتي كان عند عوبديا شىء ردىء أعطاه لمن ولى حجى. لكى يراه. فكان إذا رآه حجى يقول فى نفسه: ها هو ذا عوبديا قد نسينى بلا ريب لأن هذا الشىء لا يصلح إلا لى لأنى شر من الجميع. ومهما كان الشىء رديئاً فمتى أخذته من عوبديا الذى منحنى الله إياه على يديه صار كنزاً

ومتى أراد عوبديا أن يعلم أحداً كيف يصلى دعا حجى وقال: اتل الآن صلاتك ليسمع كل أحدٍ كلامك. فيقول حجى: أيها الرب إله إسرائيل انظر إلى عبدك الذى يدعوك لأنك قد خلقته. أيها الرب الإله البار أذكر برك وقاص خطايا عبدك لكى لا أنجس عملك. أبى وإلهى إنى لا أقدر أن أسألك المسرات التى تهبها لعبيدك المخلصين لأنى لا أفعل شيئاً إلا الخطايا. فإذا أنزلت يا رب بأحد عبيدك سقماً فاذكرنى أنا.

ثم قال الكاتب: وكان متى فعل حجى هذا أحبه الله حتى أن الله كان يعطى النبوة لكل من وقف بجانبه. ولم يكن حجى يطلب شيئاً فيمنعه الله عنه.

ولما قال الكاتب الصالح هذا بكى كما يبكى النوتى إذا رأى سفينته قد تحطمت. وقال: كان هوشع لما ذهب ليخدم الله أميراً لسبط نفتالى وكان له من العمر أربع عشرة سنة. وبعد أن باع إرثه ووهبه للفقراء ذهب ليكون تلميذاً لحجى. وكان هوشع مشغوفاً بالصدقة حتى أنه كان كلما طلب منه شىء يقول: أيها الأخ إن الله منحنى هذا لك فاقبله. فلم يبق له لهذا السبب

سوى ثوبين فقط أى صدرة من مسح ورداء من جلد. وكان قد باع كما قلت إرثه وأعطاه للفقراء لأنه بدون هذا لا يجوز لأحد أن يسمى فريسياً.

وكان عند هوشع كتاب موسى وكان يطالعه برغبة شديدة. فقال له حجى يوماً ما: من أخذ منك كل مالك؟ أجاب: كتاب موسى. وحدث أن تلميذ أحد الأنبياء المجاورين أحب أن يذهب إلى أورشليم ولم يكن له رداء. فلما سمع بتصدق هوشع ذهب ليراه وقال له: أيها الأخ إنى أريد أن أذهب إلى أورشليم لأقوم بتقديم ذبيحة لإلهنا ولكن ليس لى رداء فلا أدرى ماذا أفعل. فلما سمع هوشع قال: عفواً أيها الأخ فإنى قد ارتكبت خطيئة عظيمة إليك. لأن الله أعطانى رداءً لكى أعطيك إياه. فنسيت. فاقبله الآن وصل إلى الله لأجلى. فصدق الرجل هذا وقبل رداء هوشع وانصرف.

ولما ذهب هوشع إلى بيت حجى قال حجى: من أخذ ردائك؟ أجاب حجى: كتاب موسى. فسر حجى كثيراً من سماع هذا لأنه أدرك صلاح هوشع. وحدث أن اللصوص سلبوا فقيراً وتركوه عرياناً. فلما رآه هوشع نزع صدرته وأعطاها للعريان ولم يبق سوى فرصة صغيرة من جلد الماعز على سوأته. فلما لم يأت إلى حجى ظن حجى الصالح أن هوشع مريض. فذهب مع تلميذه ليراه فوجدوه ملفوفاً بأوراق من النخل. فقال حينئذ حجى: قل لى الآن لماذا لم تزرنى؟. أجاب هوشع: إن كتاب موسى قد أخذ صدرتى فخشيت أن آتى إلى هناك بدون صدرة. فأعطاه هنالك حجى صدرة أخرى. وحدث أن شاباً رأى هوشع يطالع كتاب موسى فبكى وقال: أنا أيضاً أود القراءة لو كان لى كتاب. فلما سمع هوشع هذا أعطاه الكتاب قائلاً: أيها الأخ إن هذا الكتاب لك لأن الله أعطانى إياه لكى أعطيه من يرغب فى كتاب باكياً. فصدقه الرجل وأخذ الكتاب.

وكان تلميذ لحجى على مقربة من هوشع. فأراد أن يرى هل كان كتابه مكتوباً صحيحاً. فذهب ليزوره وقال له: أيها الأخ خذ كتابك ولننظر هل هو مطابق لكتابى؟ فأجاب هوشع: لقد أخذ منى. فقال التلميذ: من أخذه منك؟ أجاب هوشع: كتاب موسى. فلما سمع الآخر هذا ذهب إلى حجى وقال له:

إن هوشع قد جن لأنه يقول: إن كتاب موسى قد أخذ منه كتاب موسى. أجاب حجى: يا ليتنى كنت مجنوناً مثله وكان كل المجانين نظير هوشع.

وشن لصوص[1] سوريا الغارة على أرض اليهودية. فأسروا ابن أرملة فقيرة كانت تسكن على مقربة من جبل الكرمل حيث كان الأنبياء والفريسيون يقيمون. فاتفق حينئذٍ أن هوشع كان ذاهباً ليقطع حطباً فالتقى بالمرأة وهى باكية. فشرع من ثم يبكى حالاً. لأنه كان متى رأى ضاحكاً ضحك ومتى رأى باكياً بكى. فسأل حينئذٍ هوشع المرأة عن سبب بكائها فأخبرته بكل شىء. فقال حينئذٍ هوشع: تعالى أيتها الأخت لأن الله يريد أن يعطيك ابنك.

فذهبا كلاهما إلى جرون **حيث باع هوشع نفسه وأعطى النقود للأرملة** التى لم تعلم كيف حصل عليها فقبلتها وافتدت ابنها. والذى اشترى هوشع أخذه إلى أورشليم حيث كان له منزل وهو لا يعرف هوشع. فلما رأى حجى أنه لا يمكن العثور على هوشع لبث كاسف البال. فأخبره من ثم ملاك الله كيف أنه قد أُخذ عبداً إلى أورشليم. فلما علم هذا حجى الصالح بكى لبعاد هوشع كما تبكى الأم لبعاد ابنها. وبعد أن دعا تلميذين ذهب إلى أورشليم. فصادف بمشيئة الله عند مدخل المدينة هوشع وكان محملاً خبزاً ليأخذه إلى الفعلة فى كرم سيده. فلما استبانه حجى قال: يا بنى كيف هجرت أباك الشيخ الذى ينشدك نائحاً. فأجاب هوشع: يا أبتاه لقد شُريت. فقال حينئذٍ حجى بحنق: من هو ذلك الردئ الذى باعك؟ فأجاب هوشع: غفر لك الله يا أبتاه لأن الذى باعنى صالح بحيث إنه لو لم يكن فى العالم لما صار أحد طاهراً. فقال حجى: فمن هو إذاً أجاب هوشع: إنه كتاب موسى يا أبتاه. فوقف حينئذٍ حجى الصالح كمن فقد عقله وقال: ليت كتاب موسى يبيعنى أنا أيضاً مع أولادى كما باعك.

وذهب حجى مع هوشع إلى بيت سيده الذى قال لما رأى حجى: تبارك إلهنا الذى أرسل نبيه إلى بيتى. وشرع ليقبل يده. فقال حينئذٍ حجى: قبل

(١) ٢ مل ٥: ٢.

أيها الأخ يد عبدك الذى ابتعته لأنه خير منى. وأخبره بكل ما جرى. فمن ثم أعتق السيد هوشع.

ثم قال الكاتب: وهذا كل ما تبتغى أيها المعلم.

فقال حينئذٍ يسوع: إن هذا لصدق؛ لأن الله قد أكده لى. ولتقف الشمس[1] ولا تتحرك برهة اثنتى عشرة ساعة لكى يؤمن كل أحدٍ أن هذا صدق. وهكذا حدث. فأفضى إلى هلع أورشليم واليهودية كلها.

وقال يسوع للكاتب: ماذا عساك أن تطلب منى أيها الأخ وعندك مثل هذه المعرفة. لعمر الله إن فى هذا كفاية لخلاص الإنسان لأن اتضاع حجى وتصدق هوشع يكملان العمل بالشريعة برمتها وكتب الأنبياء[2] برمتها. قل لى أيها الأخ: أخطر فى بالك لما أتيت لتسألنى فى الهيكل أن الله قد بعثنى لأبيد الشريعة والأنبيا؟[3]. من المؤكد أن الله لا يفعل هذا لأنه غير متغير. فإن ما فرضه الله طريقاً لخلاص الإنسان هو ما أمر الأنبياء بالقول به. لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته لو لم يفسد كتاب موسى مع كتاب أبينا داود بالتقاليد البشرية للفريسيين الكذبة والفقهاء لما أعطانى الله كلمته. ولكن لماذا أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود؟ فقد فسدت كل نبوة حتى أنه لا يطلب اليوم شىء لأن الله أمر به بل ينظر إذا كان الفقهاء يقولون به والفريسيون يحفظونه. كأن الله على ضلال والبشر لا يضلون. فويل لهذا الجيل الكافر لأنهم سيحملون تبعة[4] دم كل نبى وصديق مع دم زكريا بن بَرَخِيا الذى قتلوه بين الهيكل والمذبح.

أى نبى لم يضطهدوه؟ أى صديق تركوه يموت حتف أنفه؟ لم يكادوا أن يتركوا واحداً. وهم يطلبون الآن أن يقتلونى. يفاخرون بأنهم أبناء إبراهيم وأن لهم الهيكل الجميل ملكاً. لعمر الله إنهم أولاد الشيطان. فلذلك ينفذون إرادته[5]. ولذلك سيتهدم الهيكل[6] مع المدينة المقدسة تهدماً لا يبقى معه حجر على حجر من الهيكل.

(١) يش ١٠: ١٢ - ١٣. (٢) مت ٢٢: ٤٠. (٣) مت ٥: ١٧. (٤) مت ٢٣: ٣٥.
(٥) يو ٨: ٣٩ - ٤٤. (٦) لو ١٩: ٤٤ و ٢١: ٦.

قل لى أيها الأخ وأنت الفقيه المتضلع من الشريعة[1]: بأى ضرب موعد مسيا لأبينا إبراهيم؟ أبإسحق أم إسماعيل؟ أجاب الكاتب: يا معلم أخشى أن أخبرك عن هذا بسبب عقاب الموت. حينئذٍ قال يسوع: إنى آسف أيها الأخ أنى أتيت لآكل خبزاً فى بيتك لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة أكثر من الله خالقك. ولهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ولكن لا تخشى أن تخسر الإيمان والحياة الأبدية التى تضيع متى تكلم اللسان عكس ما يعرف القلب من شريعة الله. حينئذٍ بكى الكاتب الصالح وقال: يا معلم لو عرفت كيف أثمر لكنت قد بشرت مراراً كثيرة بما أعرضت عن ذكره لئلا يحصل شغب فى الشعب. أجاب يسوع: يجب عليك أن لا تحترم الشعب ولا العالم كله من أن تغضب الله خالقك. ولا تحفظه فى الخطيئة. لأن الخطيئة تهلك ولا تحفظ. أما الله فقدير على خلق عوالم عدد رمال البحر بل أكثر.

حينئذٍ قال الكاتب: عفواً يا معلم لأنى قد أخطأت. قال يسوع: الله يغفر لك؛ لأنك إليه قد أخطأت. **فقال من ثم الكاتب: لقد رأيت كتيباً قديماً مكتوباً بيد موسى ويشوع الذى أوقف الشمس كما قد فعلت. خادمى ونبيى الله. وهو كتاب موسى الحقيقى. ففيه مكتوب: أن إسماعيل هو أب لمسيا وإسحق أب لرسول مَسِيا. وهكذا يقول الكتاب: إن موسى قال: أيها الرب إله إسرائيل القدير الرحيم أظهر لعبدك فى سناء مجدك[2]. فأراه الله من ثم رسوله على ذراعى إسماعيل. وإسماعيل على ذراعى إبراهيم. ووقف على مقربة من إسماعيل إسحق وكان على ذراعيه طفل يشير بأصبعه إلى رسول الله قائلاً: هذا هو الذى لأجله خلق الله كل شىء. فصرخ من ثم موسى بفرح: يا إسماعيل إن فى ذراعيك العالم كله والجنة. اذكرنى أنا عبدالله لأجد نعمة فى نظر الله بسبب ابنك الذى لأجله صنع الله كل شىء»**

* * *

(١) يو ٣: ٠   (٢) خر ٣٣: ١٨.

المثال العشرون:

الصلاة لله

أولا: نص التوراة:

«أنا الرب إلهك، الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما، مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن؛ لأنى أنا الرب إلهك. إله غيور. أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محببى، وحافظى وصاياى» (خر ٢٠: ٢ ـ ٦)

تفسير المسيح للجيل الثالث والرابع: هو أنهم أبناء عبدة الأصنام.

ثانياً: نص الإنجيل:

«ثم رفع[١] يديه إلى الرب وصلى قائلاً[٢]: أيها الرب إلهنا إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحق. إله آبائنا. ارحم من أعطيتنى وخلصهم من العالم. لا أقول خذهم من العالم لأنه من الضرورى أن يشهدوا على الذين يفسدون إنجيلى. ولكن أضرع إليم أن تحفظهم من الشرير. حتى يحضروا معى يوم الدينونة ليشهدوا على العالم وعلى بيت إسرائيل الذى أفسد عهدك. أيها الرب الإله القدير الغيور الذى ينتقم فى عبادة الأصنام من أبناء الآباء عبدة الأصنام حتى الجيل الرابع[٣] العن إلى الأبد كل من يفسد إنجيلى الذى أعطيتنى عندما يكتبون أنى ابنك. لأنى أنا الطين والتراب خادم خدمك ولم أحسب نفسى قط خادماً صالحاً لك[٤]. لأنى لا أقدر أن أكافئك على ما أعطيتنى؛ لأن كل الأشياء لك.

أيها الرب الإله الرحيم الذى تظهر رحمة إلى ألف جيل للذين يخافونك[٥] ارحم الذين يؤمنون بالكلام الذى أعطيتنى إياه. لأن كلمتك التى

(١) برنابا ٢١٢: ١ .. (٢) يو ١٧: ١. (٣) خر ٢٠: ٤ ـ ٥.
(٤) لو ١٧: ١٠. (٥) خر ٢٠: ٦.

تكلمتها هى حقيقية كما أنك أنت الإله الحقيقى لأنها كلمتك أنت. فإننى كنت أتكلم دائماً كمن يقرأ ولا يقدر إلا ما هو مكتوب فى الكتاب الذى يقرأه. هكذا قلت ما قد أعطيتنى إياه. أيها الرب الإله المخلّص. خلص من قد أعطيتنى لكيلا يقدر الشيطان أن يفعل شيئاً ضدهم. ولا تخلصهم هم فقط بل كل من يؤمن لهم. أيها الرب الجواد والغنى فى الرحمة **امنح خادمك أن يكون بين أمة رسولك يوم الدين.**

وليس أنا فقط بل كل من قد أعطيتنى مع سائر الذين سيؤمنون بى بواسطة تبشيرهم. وافعل هذا يا رب لأجل ذاتك حتى لا يفاخرك الشيطان يا رب. أيها الرب الإله الذى بعنايتك تقدم كل الضروريات لشعبك إسرائيل **اذكر قبائل الأرض كلها التى قد وعدت أن تباركها برسولك الذى لأجله خلقت العالم. ارحم العالم وعجل بإرسال رسولك لكى لا يسلب الشيطان عدوك مملكته.** وبعد أن فرغ يسوع من هذا قال ثلاث مرار: ليكن هكذا أيها الرب العظيم الرحيم. فأجابوا كلهم باكين: ليكن هكذا. ليكن هكذا» أ. هـ

* * *

تم الكتاب بحمد الله تعالى

وصلى الله وسلم على محمد نبى الرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس كتاب

تفسير التوراة

للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام